أعداء

(مشاهد)

كتبت هذه المسرحية في عام ١٩٠٦ . مثلت «أعداء» لأول مرة على مسرح لينينغراد الأكاديمي الحكومي في ٢٥ أيلول ١٩٣٣ . وفي عام ١٩٣٥ قدمت على خشبة مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

زاخار باردين : في الخامسة والأربعين .
بولينا : زوجته ، تناهز الأربعين .
ياكوف باردين : في الأربعين .
تاتيانا : زوجته ، في الثامنة والعشرين . ممثلة .
ناديا : ابنة أخت بولينا ، في الثامنة عشرة .
بيشينيغوف : جنرال متقاعد ، عم آل باردين .
ميخائيل سكروبوتوف : في الاربعين . تاجر . شريك آل باردين .
كليوباترا : زوجته ، في الثلاثين .
نيقولاى سكروبوتوف : أخوه ، في الخامسة والثلاثين . محام ، وكيل دعاوي .
سينتزوف : كاتب .
بولوغى : كاتب .
كون : جندى سابق .
غريكوف
ياغودين
ليفشين } عمال .
ريابتزوف
أكيموف

أغرافينا : مدبرة المنزل .
بوبويدوف : نقيب في الدرك .
كفاش : عريف في الدرك .
ملازم في الجيش ، مفتش المباحث ، موظف ، رئيس الشرطة ، شرطي ، ودركيون ، وجنود ، وعمال ، وكتاب ، وخدم .

الفصل الأول

حديقة مظلّلة بأشجار كبيرة من الزيزفون . تنهض في أقصاها خيمة عسكرية بيضاء . تحت الأشجار ، الى اليمين ، مقعد ترابي عريض مغطى بالاعشاب تنتصب طاولة الى الأمام منه . مائدة طويلة للافطار تمتد تحت الأشجار الى اليسار . سماور صغير يغلي . مقاعد من الخيزران مصفوفة حول المائدة . أغرافينا تصنع القهوة ، وكون يقف تحت شجرة يدخن غليوناً ويتحدث الى بولوغي .

بولوغي : (يتحدث بحركات خرقاء) : طبعاً ، معرفتك بذلك أفضل . أنا شخص معدوم الأهمية ، وحياتي عديمة المغزى بما فيه الكفاية . لكنني زرعت كل خيارة بيديّ هاتين ، ولن يسرقها امرؤ دون أن يقدم لي حساباً على ذلك .

كون : (متجهماً) : ليس من يسأل الأذن منك .

بولوغي :(ضاغطاً يده على صدره) : لا ! آسف! اذا أخذ شخص ملكيتك ، أفلا يحق لك أن تطلب حماية القانون ؟

كون : هيا اطلب ذلك . اليوم يأخذون خياراتك ، وغداً رأسك . ذلك هو القانون الذى تتحدث عنه !

بولوغي : غريب أن أسمعك تقول ذلك ، بل خطير أيضاً . كيف تسمح لنفسك ، أنت الجندي المتقاعد ، الحائز

على وسام القديس غيورغي ، بالكلام عن القانون بمثل هذا الازدراء ؟

كون : ليس هناك قانون . هناك أمر فقط . الى اليســـار ، دُرْ ! الى الأمام ، سِرْ ! وهذا أنت تنطلق . وعندما يقولون : «قف !» فهذا يعني : قف .

أغرافينا : قد يكون التوقف عن تدخين هذا الغليون فكرة حسنة ، يا كون . انه يؤذي الأوراق .

بولوغي: لو أن الجوع دافعهم الى السرقة ، فلعلي أعذرهم . الجوع يبرّر أشياء عديدة . تستطيـــع أن تقول ان سائر الدناءات ارتكبت في سبيل ارضاء الجوع . عندما يريد الانسان أن يأكل ، عندئذ يمكن بكل تأكيـــد أن . . .

كون : الملائكة لا يأكلون ، لكن ابليس تمرّد على اللـّه مع ذلك .

بولوغي : (سعيداً) : هذا ما أسميه شيطنة خالصة ! . .

(يدخل ياكوف باردين . انه يتكلم بهدوء ، وكأنه يصغي الى كلماته ذاتها . ينحني بولوغي له ، ويلقي كون تحيـــة عسكرية لامبالية)

ياكوف : مرحباً . ماذا تفعل هنا ؟

بولوغي : جئت الى زاخار ايفانوفيتش برجاء متواضع .

أغرافينا : جاء يرفع شكوى . ان بعض الشبان من المعمل سرقوا خياراته ليلة البارحة .

ياكوف : حقاً ؟ ينبغي أن تخبر أخي بذلك .

بولوغي : بالضبط ، اني ذاهب اليه .

كون (مدمدماً) : لا أراك ذاهباً الى أى مكان . أنت لا تفعل سوى الوقوف هنا والتذمر .

بولوغي : أنا لا أتدخل في شؤونك البتة ، أليس كذلك ؟ لو كنت تقرأ الصحيفة أو شيئاً ما ، فتستطيع عندئذ بكل تأكيد أن تتهمني بالتدخل .

ياكوف : كون ، أريد أن أتحدث اليك .

كون (يتقدم اليه) : أنت رجل بخيل ، يا بولوغي ، ومفترٍ عجوز .

بولوغي : وفتّر كلماتك . لقد وُهب الانسان لساناً ليرفع به شكاوى .

أغرافينا : أواه ، كفاك ثرثرة ، يا بولوغي . أنت أشبه بالبعوضة منك بالكائن الانساني .

ياكوف (الى كون) : ما عساه يفعل هنا على أية حال ؟ لم لا يذهب من هنا ؟

بولوغي (الى اغرافينا) : ان كانت كلماتي تسيء الى اذنك وتفشل في لمس شغاف قلبك -- فسوف ألوذ بالصمت اذن . (يغادر المكان ويمشي على طول الممر ، متحسساً الأشجار أثناء مروره) .

ياكوف (بارتباك) : حسناً ، يا كون . يلوح أنى في العشية ، مرة ثانية ، جرحتُ شعور انسان ما ؟

كون (يكشر عن اسنانه) : نعم ، أخشى أنك فعلتَ ذلك .

ياكوف (يسير ذهاباً واياباً) : تفو ! ما أعجب ذلك ! ترى ،

لماذا أهين الناس علـــى الدوام حين أكون سكران ،
يا كون ؟

كون : يحدث أحياناً أن يكون الناس أفضل في حال السكر منهم في حال الصحو . انهم أشجع اذن ، لا يخافون أى انسان ، بل لا يوفرون أنفسهم أيضاً . كان في سريتنا ضابط صف لا يعرف سوى النميمة والنفاق والضرب عندما يكون صاحيا ، ولكن عندمـــا يسكر ، ينخرط باكياً مثل طفل رضيع ، قائلاً : «يا اخوتي ، أنــــا انسان مثلكم جميعاً» . ويقول : «ابصقـوا في عيني ، يا اخوتي» . وكان البعض يفعلون ذلك دون تأخير . . .

ياكوف : من الذى أهنته البارحة ؟

كون : المدعي العام . قلت له انه أحمق . ثم قلت له ان لزوجة المدير سبطاً من العشاق .

ياكوف : تصوّر ! ما كان شأني في ذلك ؟

كون : لا أدرى . ثم . . .

ياكوف : حسنــــا ، يا كون . هذا يكفي ، والا تجلى انى تفوهت بالسوء بحق كل انسان . . . كل هذا بسبب تلك الفودكا اللعينة ! (يقترب من المائدة ويروح يرنو الى الزجاجات ، ثم يصب لنفســـه كأساً كبيرة مـــن الفودكا ، ويشرع يحتسيها بجرعات صغيرة . ترمقه اغرافينا من زاوية عينها وتتنهد) . أنت تحسين بعض الأسف من أجلي ، أليس كذلك ؟

اغرافينا : ذلك ما يرثى له كثيراً . أنت صريح وبسيط مع كل انسان ، ولا تشبه سيداً البتة .

ياكوف : لكن كون ههنا لا يرثي لأحد مطلقاً . انه لا يفعل سوى التفلسف . لا بدّ من قدر كبير من العسف كي يأخذ المرء في التفكير ، أليس هذا صحياً ، يا كون ؟ (يدفُ صوت الجنرال من الخيمة صائحاً : «هاى ، يا كون !») أخمّن أنهم يعاملونك بقسوة كثيرة ، ولذا أنت على كل هذا الذكاء . أليس كذلك ؟

كون (مغادراً المكان) : ان رؤية هذا الجنرال وحدها تكفي لتجعل مني أبله غبياً .

الجنرال (مندفعاً من الخيمة) : كون ! الى النهر ! بسرعة !

(يختفيان في الحديقة)

ياكوف (يجلس ويترنح الى الخلف والأمام على مقعده) : أما تزال زوجتي نائمة ؟

أغرافينا : كلا ، لقد استيقظت واستحمت أيضاً .

ياكوف : هكذا ترثين لي ، أليس كذلك ؟

أغرافينا : ينبغي أن تتناول علاجاً .

ياكوف : حسناً ، صبي لي قطرة من الكونياك .

أغرافينا : لعله من الأفضل ألا أفعل ، يا ياكوف ايفانوفيتش .

ياكوف : لم لا ؟ منع كأس واحدة عني لن يفيدني شيئاً .

(تصب له أغرافينا ، متنهدة ، كأساً من الكونياك . يدخل ميخائيل سكروبوتوف مسرعاً في حالة من الاضطراب ، يشدُ

بعصبية لحيته السوداء المدببة ، ويلعب بالقبعة التي يحمل في يده)

ميخائيل : هل استيقظ زاخار ايفانوفيتش ؟ لم يفق بعد ؟ كان يجب أن أتوقع ذلك ! أعطيني . . . أثمة حليب مبرد ؟ شكراً . صباح الخير ، يا ياكوف ايفانوفيتش ! هل سمعت الأخبار ؟ أولئـــك الأوغاد يصرّون على أن أسرح رئيس العمال ديتشكوف . وقد هددوا بالاضراب عن العمل اذا لم أفعل ذلك ، أخذهم الشيطان .

ياكوف : هيا ، سرّحه .

ميخائيل : ليس أسهل من ذلك . لكنك ترى . . . المشكلة ليست هنا . المشكلة هي أن التنازلات تفسدهـــم . اليوم يطلبون أن أسرح رئيس العمـــال ، وغـــداً يريدونني أن أشنق نفسي في سبيل تسليتهم .

ياكوف (في لطف) : أتعتقد أنهم سينتظرون حتى الغـــد كي يريدوا ذلك ؟

ميخائيل : يبدو أنك تجد ذلك مضحكاً ! أود أن أراك تجرب أن تسوس هؤلاء السادة القذرين – ما يقارب الألف منهم ، وقد لعب مختلف البشر برؤوسهم ، بما فيهـم أخوك العزيز بليبراليته ، وحفنـــة من الأغبياء الذين يكتبون المنشورات . (ينظر الى ساعته) الساعـــة العاشرة تقريباً ، وهم يهددون أن يبدأوا تسليتهم بعد الغداء . آه أجل ، يا ياكوف ايفانوفيتش . مما لا ريب فيه أن أخاك أفسد الأمور في المعمل عندما كنت بعيداً

أقضي اجازتي . لقد أفسد الناس تماماً بافتقاده الى الحزم .

(يدخل سينتزوف من الناحيـــة اليمنـــى . انه في الثلاثين تقريباً ، وفي هيئته وتقاسيم وجهه شيء هادئ ومؤثر) .

سينتزوف : يا ميخائيل فاسيليفيتش ! جاء بعض الممثلين عن العمال الى المكتب ، وهم يطلبون مقابلـــة صاحب المعمل .
ميخائيل : يطلبون ؟ كن طيباً وابعث بهـــم الى الشيطان ! (تدخل بولينا من اليسار .) اصفحي عني ، يا بولينا ديمترييفنا !
بولينا (برشاقة) : عندك عادة اطلاق السباب والشتائـــم ! ولكن ما هي المناسبة هذه المرة ؟
ميخائيل : انها تلك «البروليتاريا» ! انهم «يطلبون» ! كانوا يأتون اليّ فيما مضى «بالتماسات» مطيعة .
بولينا : لا بدّ لي من القول انك كثير القسوة مع الناس .
ميخائيل (يلوّح بيديه باستسلام) : وأنت أيضاً ؟
سينتزوف : ماذا ينبغي لي أن أقول للمثلين ؟
ميخائيل : فلينتظروا ! عُدْ اليهم .

(يغادر سينتزوف المكان متمهلاً)

بولينا : ان لهذا الرجل وجهاً يبعث على الاهتمام . هل مضى عليه زمن طويل هو يشتغل لنا ؟

ميخائيل : حوالي العام على ما يبدو . . .

بولينا : يوحي بأنه فتى مهذب حسن التربية . من هو ؟

ميخائيل (يهز كتفيه) : يكسب أربعين روبلاً في الشهر .

(يتطلع الى ساعته ، يتنهد وينظر حواليه ، فتقع أبصاره على بولوغي تحت احدى الأشجار) ماذا تفعل هنا ؟ هل أتيت لرؤيتي ؟

بولوغي : كلا ، يا ميخائيل فاسيليفيتش ! جئت لرؤية زاخار ايفانوفيتش .

ميخائيل : في أي شأن ؟

بولوغي : بخصوص اعتداء على حقوق الملكية .

ميخائيل (الى بولينا) : اسمحي لي أن أقدّم لك مستخدماً جديداً . لديه ميل الى البستنة ، وهو على يقين مطلق من أن جميع الأشياء على وجه البسيطة خلقت لهذا الهدف الوحيد ، ألا وهو الحاق الأذى بمصالحه . كل شيء يضجره : الشمس ، وانكلترا ، والآلات الجديدة ، والضفادع . . .

بولوغي (مبتسماً) : اسمح لي أن ألاحظ أن الضفادع تضجر كل الناس على حدّ سواء عندما تأخذ بالنقيق .

ميخائيل : عد الى المكتب ! ما هذه العادة عندك في ترك جميع الشؤون كي تأتي للشكوى ؟ لا أحب ذلك مطلقاً . اغرب عن وجهي !

(ينحني بولوغي ويغادر المكان ، فيما تبتسم بولينا وتروح تراقبه من وراء نظارتها .)

بولينا : ما أشد صرامتك ! انه شخص مسل . ليخيل اليّ

أن الناس في روسيــا أكثر أصالـــة من الناس في خارجها .

ميخائيل : اذا قلت انهم أكثر فظاظة ، وافقتك فيما تذهبين اليه . أنى أدير الناس منذ خمسة عشر عاماً ، الأمر الذي أعطاني فهماً ممتازاً عن الشعب الروسي الطيب كما يصفه كتابنا الاكليريكيون .

بولينا : الاكليريكيون ؟

ميخائيل : جميــع أصحابــك من أمثال تشيرنيشيفسكي ، ودوبروليوبوف ، وزلاتوفراتسكي ، وأوسبنسكــي . (ينظر في ساعته) لشدّ مـا تأخر زاخار ايفانوفيتش في المجيء !

بولينا : أتعلم ما الذى يؤخره ؟ انـه ينهي شوط شطرنج العشية مع أخيك .

ميخائيل : وهناك في المعمل يهددون بالاضراب عن العمل بعد الغداء ! يمكنني أن اتأكد أن روسيا لن تجدي أبداً لاي شيء حسن . هذا حق لا مراء فيه . انها بلـــد الفوضى ! ان لدى الناس قرفاً عضوياً من أي عمـــل كان ، وعجزاً تاماً عن حفظ النظام ! وليس ثمة أدنى احترام للقانون !

بولينا : ولكن هذا أمر طبيعي تماماً . كيف يمكن أن يكون احترام للقانون في بلـــد ليس فيـــه قانون ؟ بيني وبينك ، ان حكومتنا . . .

ميخائيل : آه ، أنـــا لا أبرر أي انسان حتى ولا الحكومـــة أيضاً . خذى الأنكلوساكسونيين مثلاً . (يدخل زاخار ،

باردين ونيقولاى سكروبوتوف) . لا يمكن أن تجدي مواد أفضل لتبني بها دولـــة . ان الرجل الانكليزي يتخطر أمام القانون على قائمتيه الخلفيتين مثل جواد السيرك . ان الاحساس بالقانون موجود في عظامه وفي عضلاته بالذات . صباح الخير ، يا زاخار ايفانوفيتش ! مرحباً ، يا نيقولاي ! اسمحا لي أن أخبركما بالنتائج الأخيرة لسياستكما الليبراليـــة مع العمال : يطلب العمال أن أسرح ديتشكوف فوراً ، مهددين بالاضراب عن العمل بعد الغداء اذا لم أفعل ذلك . . حسناً ، كيف تجدان هذا ؟

زاخار (يحك جبهته) : هم – م – م . ديتشكوف ؟ ذلك الفتى الذي يستعمل قبضتيه على الدوام ويلاحـق الفتيات ؟ بكل تأكيد يجب أن نسرّحه . ذلك عدل بكل بساطة .

ميخائيل (مهتاجاً) : يا اللّه ! ألا يمكنك أن تتكلم جاداً أيها الشريك المحترم ؟ ليست القضية قضية عدالـــــة بل معملنا . العدالة من شأن نيقولاي وحده . واني لمجبر على الاشارة مرة أخرى الى أن مفهومك عن العدالـــــة هدّام بالنسبة الى العمل .

زاخار : كيف يمكن أن يكون ذلك ؟ هذه مفارقة .

بولينا : تتحدثون في موضوع العمل في حضرتي ! ومنذ بكور الصباح !

ميخائيل : معذرة ، لكن لا بدّ لي من ذلك . يجب أن نوضح هذا الموضوع . قبل أن أرحل لقضـــاء عطلتي كنت أمسك المعمل في يدى هكذا (يرفع قبضته المنضمة) ،

وما كان أحد يجرؤ أن يبدى أدنى زقزقة ! وانك لتعلم أني لم أر قط أدنى فائدة في سائر تلك تسليات أيام الأحد – حلقات المطالعة وما شابه هذا الهراء – في ظروفنا الراهنة . . ان الفكر الروسي الفج لا يمكن أن يلتهب بنور العقل عندما تقع عليه شرارة من معرفة . انه لا يفعل اذن سوى العسعسة وارسال الدخان !

نيقولاي : ينبغي للمرء أن يتحدث بهدوء دائماً .

ميخائيل (متمالكا زمام نفسه بصعوبة) : شكراً لك من أجل نصيحتك ، فهي صحيحة كل الصحة ، ولكنني لا أستطيع لها قبولاً من سوء الحظ . ان موقفك من العمال ، يا زاخار ايفانوفيتش ، قد زعزع ونسف خلال ستة شهور الأساس المتين الذي قضيت ثمانية أعوام في بنائه . لقد كسبت احترام العمال جميعاً ، فهم ينظرون اليّ على اعتباري سيداً لهم . أما الآن فمن الواضح أن ثمة سيدين ، سيداً صالحاً وسيداً شريراً . وأنت ، طبعاً ، هو السيد الصالح .

زاخار (مرتبكاً) : ولكن ، يا الهى . . أنا لا أفهمك .

بولينا : هذا قول غريب جداً ، يا ميخائيل فاسيليفيتش !

ميخائيل : لديّ أسباب لهذا القول . لقد وضعتني في مركز سخيف . عندما أثيرت هذه القضية آخر مرة أخبرت العمال أني أفضّل اغلاق المعمل على تسريح ديتشكوف . ولقد أدركوا أني أعني ما أقول فهدأت ثائرتهم . ولكنك في يوم الجمعة ، يا زاخار ايفانوفيتش ، قلت

لذلك الفتى غريكوف أن ديتشكوف انسان فظ ، وأن في نيتك تسريحه .

زاخار (بلهجة مصالحة) : ولكن يا عزيزى ، انه يتجول موجها الى سائر الناس اللكمات على الحنك وما أشبه ذلك . من المؤكد أننا لا نستطيع القبول بمثل هذه الأشياء . نحن أوروبيون . نحن شعب متمدن .

ميخائيل : قبل كل شيء نحن أصحاب معمـــل . ان العمال يتضاربون في كل عيد : فما شأننا نحن في ذلك ؟ ولكن ينبغي لك أن تؤجـــل في الوقت الراهن تلقين العمال الأخلاق الحسنة . ان ممثليهم ينتظرونك هذه اللحظة بالضبط في المكتب ، وسوف يطلبـــون أن تسرح ديتشكوف . ماذا في نيتك أن تفعل ؟

زاخار : أترى أن ديتشكوف لا غنى عنه حتى هذه الدرجة ؟

نيقولاي (بجفاء) : يبدو لي أن القضية ليست قضيـة فرد ، بل قضية مبدأ .

ميخائيل : بالضبط ! قضية من هو السيد في المعمل — أنت وأنا ، أم العمال !

زاخار (في حيرة) : أجل ، اني أفهم . لكن . .

ميخائيل : اذا خضعنا لهم الآن ، فليس من يدري ما عساهم يطلبون بعد ذلك . انهم عصبة وقحة . . . ستة شهور من هذه المدارس الأحدية وغيرها أعطت ثمارها . انهم يحملقون فيّ مثل قطيع من الذئاب . ولقد أصدروا منذ الآن بعض المنشورات التي تفوح برائحة الاشتراكية .

بولينا : الاشتراكية في غير محلها في مثل هذا المكان ! ان لها بالأحرى صدىً مضحكاً ، أليس كذلك ؟

ميخائيل : أتحسبين ؟ يا عزيزتي بولينا ديمتربيفنا ، الأطفال مسلون ما برحوا صغاراً . ولكنهم يكبرون شيئاً فشيئاً ، فاذا أنت تجدين نفسك ، بصورة مباغتة ، وجهاً لوجه أمام أوغاد بالغين .

زاخار : ماذا تنوي أن تفعل ؟

ميخائيل : سأغلق المعمل . فليجوعوا بعض الوقت ، وسوف تفتر همّتهم (ينهض ياكوف ، ويقترب من المائدة ويجرع قدحاً . ثم يغادر المكان على مهله) حالما نغلق المعمل تتدخل النساء ويأخذن في البكاء – ودموع النساء أشبه بريح من الأملاح المروحة تهبُّ على أولئك الذين أصابتهم الأحلام بالدوار . انها تردهم الى الصواب فوراً .

بولينا : أنت تقول أشياء قاسية .

ميخائيل : ربما . لكن الحياة تتطلب مثل هذه القسوة .

زاخار : ولكن . . مثل هذا التدبير . . أتعتقد أنه ضروري بصورة مطلقة ؟

ميخائيل : أتستطيع أن تقترح أي شيء آخر ؟

زاخار : ماذا اذا ذهبتُ وتحدثت اليهم ؟

ميخائيل : من المؤكد أنك سوف تذعن لهم ، وعندئذ لا يعود وضعي يطاق . أسألك المغفرة ، ولكن لا بدَّ لي من القول ان تذبذبك يكاد أن يكون اهانة موجهة اليَّ ! هذا اذا لم أقل شيئاً عما يسببه من ضرر .

زاخار (في اندفاع) : ولكن ، يا صاحبـــي العزيز ، أنـــا لا أعترض . اني أجرب أن أجد لذلك حلاً بكل بساطة . يجب أن تفهـــم أني ملاك زراعي أكثر منـــي رجلاً صناعياً ! وهذا كله جديد عليَّ ، وكثير التعقيـــد بالاضافة . اني أحب أن أرى العدالة تتحقق ، فالفلاحون ألطف وأطيب طبيعة من العمال . واني لأتدبر الأمور معهم بصورة ممتازة . ومن المؤكد أن بين العمال بعض الوجوه الباعثة على كثير من الاهتمام . أمـــا بصورة اجمالية . . فاني أوافقك . . انهم كثيرو الغطرسة .

ميخائيل : وبصورة خاصة ، منذ ان قدمت لهم تلك الوعود كلها .

زاخار : حالما ذهبتَ شرعت ألاحظ نوعاً من القلق . . بـــل كان ثمة اضطرابات أيضاً . ربما لم أكن حذراً بصورة كافية . ولكن لم يكن بدٌ من تهدئة العمال . وقـــد كُتبت أشياء عنا في الصحف . ولا بدَّ لي من الاعتراف بأنها كانت أشياء قاسية جداً .

ميخائيل (بنفاد صبر) : الساعة الآن الدقيقة السابعة عشرة بعد العاشرة . ولا بدَّ لنا من الانتهاء الى قرار ما . ان الوضع الراهن يتطلب مني اما اغلاق المعمل وامـــا الانسحاب من المشروع . اذا اغلق المعمل لن نتحمل أيـــة خسارة ، فقـــد اتخذت سلفاً سائر الاحتياطات اللازمة ، اذ مختلف طلباتنا المستعجلة حاضرة ، وفي المخازن بضائع احتياطية .

زاخار : هم — م — م ! اني أفهم . لا بدّ من اتخاذ قرار في

الحال . ما رأيك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي : رأيي أن أخي على حق . اذا كنا نقدّر الحضارة فيجب أن نتمسك بالمبادئ المعينة بصورة حازمة .

زاخار : هذا يعني أن من رأيك أنت الآخر أن نغلق المعمل ؟ . . يا حرام ! يا عزيزي ميخائيل فاسيليفيتش ، أرجوك ألا تغضب مني . سوف أعطيك جوابي خلال – فلنقل عشر دقائق . . أيكفي هذا ؟

ميخائيل : تماماً .

زاخار : بولينا ، أرجوك أن تأتي معي . .

بولينا (تلحق بزوجها) : يا الله ! لشد ما في كل هذا من مضايقات !

زاخار : لقد اكتسب الفلاح ، خلال الأجيال ، شعوراً فطرياً بالاحترام تجاه طبقة النبلاء .

(يخرجان)

ميخائيل (من خلال أسنانه) : يا للمخنث ! انه يستطيع أن يقول ذلك بعد المذابح الزراعية في الجنوب ! الأحمق !

نيقولاي : هدئ روعك ، يا ميخائيل ! لماذا تفلت زمام نفسك هكذا ؟

ميخائيل : لقد تمزقت أعصابي ارباً اربا ، أفلا تستطيع رؤية ذلك ؟ اني ذاهب الى المعمل و . . . أنظر ! (يتناول مسدساً من جيبه) انهم يكرهونني ، بفضل ذلك الأبله . ولكني لا أستطيع أن أتخلى عن المشروع .

لسوف تكون أنت أول من يلومني اذا فعلت ذلك . . .
رأسمالنا كله في المصنع . . اذا انسحبت ، فان ذلك
الأحمق الأصلع سيدمر كل شيء .
نيقولاي (بهدوء) : ذلك سيئ ، اذا كنت لا تبالغ فيه .
سينتزوف (يدخل) : العمال يطلبونك .
ميخائيل : أنا ؟ ماذا يريدون ؟
سينتزوف : ثمة اشاعات تقول ان المصنع سيغلق أبوابه بعد الغداء .
ميخائيل (لأخيه) : أسمعت هذا ؟ كيف عرفوا ذلك ؟
نيقولاي : أخبرهم به ياكوف ايفانوفيتش على ما يبدو .
ميخائيل : لعنة اللّه على كل هذا ! (ينظر الى سينتزوف بهياج لا يستطيع الى اخفائه سبيلاً .) لمَ أنت معني بهذا الأمر حتى هذه الدرجة ، يا سيد سينتزوف ؟ تأتي الى هنا باستمرار ، وتطرح الأسئلة . لِمَ تفعل ذلك ؟
سينتزوف : المحاسب طلب مني أن أدعوك .
ميخائيل : حقاً ؟ من أين اكتسبت عادة التكشير هذه ولوي شفتيك بصورة شيطانية ؟ هل أجرؤ على سؤالك عما يسعدك حتى هذه الدرجة ؟
سينتزوف : أعتقد أن ذلك من شأني وحدي .
ميخائيل : أنا لا أوافقك . أنصح لك أن تكون أكثر احتراماً نحوي في المستقبل ، هل تسمع ؟ (سينتزوف يشخص اليه بنظرة ثابتة) حسناً ، ما الذي تنتظره ؟
تاتيانا (تدخل من اليمين) : آه ، هذا هو المدير . هل أنت

في عجلة ؟ (تصيح بسينتزوف) مرحباً ، يـا ماتفـي نيقولايفيتش !

سينتزوف (بحرارة) : صباح الخير . كيف حالك ؟ ألست متعبة ؟

تاتيانا : أبداً . ذراعاي وحدهما يؤلمانني مـن التجذيف . هل أنت ذاهب الى المكتب ؟ سأصحبك حتى البوابـة . أتعرف ما أريد أن أخبرك به ؟

سينتزوف : كلا ، طبعاً .

تاتيانا (تسير الى جانب سينتزوف) : كان فيما قلت البارحة شيء كثير من الذكاء ، انما كان فيه شيء كثير مـن الانفعال والتحيز . بعض الأحاديث يزداد حظها مـن الاقناع بمقدار ما ينقص نصيبها من العاطفة . . . (يصبح حديثهما غير مسموع) .

ميخائيل : كيف ترى ذلك ؟ ان المستخدم الذي طلبته لتوي كي يقدم الحساب على وقاحته يتباهـى أمام عينيَّ بالضبط عما يربطه من أواصر الالفة مع زوجـة ياكوف . هو سكير ، وهي ممثلة . أما ما جاء بهمـا الى هنا ، فذلك أمر لا يعرفه سوى الشيطان .

نيقولاي : انها امرأة غريبة – جميلة وأنيقة ، بل جذابـة – ومع ذلك يبدو أنها تتورّط مع هذا المتملق . يا لهـا من غرابة الأطوار ، بل يا للحماقة !

ميخائيل (بسخرية) : هذا ما تسميه ديموقراطية . انها ابنة معلم ريفي كما تعلم ، وهي تقول انها تشعر بالانجذاب

دائماً الى عامة الناس . اللعنة على ذلك كله ، أتمنى لو أني لم أختلط بهؤلاء السادة الريفيين !

نيقولاي : لا ضرورة للشكوى في اعتقادي ، فأنت رئيس هذا العمل .

ميخائيل : ليس بعد . لكني سوف أصبح الرئيس .

نيقولاي : يخال لي أن الوصول اليها سهل ، فهي شهوانية جداً فيما يبدو .

ميخائيل : أين ذلك الليبرالي ؟ لا بدّ أنه عاد أدراجه الى السرير . لا ، اقول لك ان روسيا لن تحقق شيئاً . والناس مسبوهون اختبلت أحاديثهم وتساورهم أحلام اليقظة . فلا أحد يعرف مكانه في هذه الحياة . اما الحكومة فتتشكل من عصابة من أنصاف المجانين – عصابة من البلهاء الوضيعين الذين لا يفهمون شيئاً ، ولا يستطيعون أن يصنعوا أي شيء على الاطلاق .

تاتيانا (تعود) : أنت أيضاً تصيح ؟ ثمة سبب يدفع الجميع الى الصياح !

أغرافينا : يا ميخائيل فاسيليفيتش ، ان زاخار ايفانوفيتش يطلبك . . .

ميخائيل : أخيراً ! (يخرج دون الاصغاء الى كلامها) .

تاتيانا (تجلس الى المائدة) : ما باله شديد الاضطراب ؟

نيقولاي : لا أعتقد أن ذلك يثير اهتمامك .

تاتيانا (بهدوء) : انه يذكرني بشرطي . ما أكثر ما كان يقوم بواجبه في مسرحنا في كوستروما – طويل ناحل جاحظ العينين .

نيقولاي : لا أرى وجه الشبه بينه وبين أخي .

تاتيانا : لا أتحدث عن شبه جسماني . كان ذلك الشرطي ايضا في عجلة من أمره على الدوام ، يعدو وراء شيء ما . لم يكن يسير ، بل يركض . لم يكن يدخن ، بل يلتهم اللفائف . كان يبدو كأنه لا يملك الوقت كي يعيش ، بل يذهب كل وقته في الاندفاع الى مكان ما ، وهو نفسه لم يكن يعرف الى أين !

نيقولاي : أتعتقدين أنه ما كان يعرف فعلاً ؟

تاتيانا : اني واثقة من ذلك . عندما يكون للمرء هدف واضح ، فانه يسعى اليه بهدوء . . اما ذلك الفتى فكان يعدو على الدوام . وكان ذلك عدْواً من نوع خاص . كان يبدو أن شيئاً ما يجلده من الداخل ، فهو يركض ويركض ، معترضاً سبيله الخاص وسبيل كل انسان آخر . لم يكن شرهاً – ليس بالمعنى الضيق للكلمة . كان متلهفا فقط ، بِشَرَهٍ ، الى انجاز كل ما يجب انجازه ، كي يتخلص من واجباته كلها ، بما فيها واجب تناول الرشوة . لم يكن «يتناول» الرشاوى – كان «يختطفها» . وكان يختطفها بسرعة عظيمة حتى لينسى أن يقول شكراً . وأخيراً داسته عربة وقتلته .

نيقولاي : أتريدين أن تقولي ان فعالية أخي ينقصها الهدف الذى تتوجه اليه ؟

تاتيانا : أهكذا يتضح من حديثي ؟ كلا ، ليس هذا ما أردت

أن أقول . أن أخاك يذكرني ، بكل بساطة ، بذلك الشرطي .

نيقولاي : ليس هذا مديحاً لأخي ، كما يتضح لي .

تاتيانا : ليس في نيتي مطلقاً أن أمتدح أخاك .

نيقولاي : ان لك لأسلوباً مبتكراً في المداعبة .

تاتيانا : حقاً ؟

نيقولاي : أجل . لكنه ليس بالأسلوب المرح كثيراً .

تاتيانا (بهدوء) : أيمكن لامرأة أن تكون مرحة معك ؟

نيقولاي : أو – هو !

بولينا (تدخل) : ليس كل شيء يسير على ما يرام اليوم فيما يبدو . فليس من يتناول افطاره ، والجميع مهتاجون فكأنهم لم ينالوا قسطاً من النوم يكفيهم . لقد ذهبت ناديا في وقت مبكر هذا الصباح الى الغابات تقطف الفطور بصحبة كليوباترا بتروفنا ، وقد طلبت منها البارحة الا تفعل ذلك . يا للسماوات ! لشدّ ما أصبحت الحياة صعبة .

تاتيانا : أنت تكشرين من الطعام .

بولينا : لمَ هذه اللهجة ، يا تاتيانا ؟ موقفك من الناس غير طبيعي .

تاتيانا : حقاً ؟

بولينا : ليس أيسر من النظر الى الأمور بهدوء عندما لا يملك المرء شيئاً ، فهو بذلك حرٌ من كل مسؤولية . ولكن عندما يرتبط آلاف الناس بك من أجل طعامهم يختلف الأمر كثيراً .

تاتيانا : كفي عن اطعامهم ، وليعيشوا كيفما يروقهم . ردّي اليهم كل شيء – المعمل ، والأرض ، وعيشي بسلام .

نيقولاي (يشعل لفافة) : من أية مسرحية اقتبست هذا ؟

بولينا : لا أستطيع أن افهم لماذا تقولين مثل هذه الأشياء ، يا تاتيانا . يجب أن ترى مبلغ اضطراب زاخار . لقد قررنا أن نغلق المعمل فترة من الزمن ، حتى يسترد العمال صوابهم . لكن تصوري مبلغ ما في ذلك من صعوبة ! ان مئات الناس سيُلقى بهم دونما عمل . وان لهم أولاداً . . . هذا فظيع !

تاتيانا : لا تغلقوا المعمل اذا كان الأمر على هذا القدر من الفظاعة ! لماذا تورّطون أنفسكم ؟

بولينا : أواه ، يا تاتيانا ! لشدّ ما تثيرين الأعصاب ! اذا لم نغلق المعمل ، فسوف يضرب العمال ، وسوف يكون ذلك أسوأ .

تاتيانا : ما الذي سوف يكون أسوأ ؟

بولينا : كل شيء . نحن لا نستطيع ، بكل تأكيد ، تلبية سائر طلباتهم ، وهي ليست طلباتهم في واقع الأمر . لقد شرعوا يزعقون لمجرد انه عصابة من الاشتراكيين علمتهم أن يفعلوا ! (بحمية) لا أستطيع أن أفهم ذلك ! ان الاشتراكية تحتل مكانها المناسب في الخارج ، وزعماؤها يقومون بنشاطهم بصورة علنية . أما معنا ، ههنا في روسيا ، فانهم يأخذون العمال الى الزوايا ويهمسون في آذانهم بما يريدون ، متجاهلين تماماً هذه الحقيقة ، ألا وهي أن الاشتراكية لا مكان

لها في نظام ملكـــي ! انه الدستور مـــا نحتاج ، لا الاشتراكية . ما رأيك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي (يضحك ضحكة مقتضبة) : رأيي يختلف نوعاً مـا . الاشتراكية ظاهرة بالغة الخطورة . ويمكن أن تجـــد تربة خصبة في بلد لا يملك فلسفة عنصرية مستقلـــة اذا جاز التعبير ؛ بلد كل شيء فيه يُستعار بصورة هوجاء سريعة . نحن متطرفون . وهذه هي نقطـــة الضعف فينا .

بولينا : أوه ، هذا صحيح جداً ! نحن متطرفون .

تاتيانا (تنهض) : وبصورة خاصة أنت وزوجك . ومساعـد المدعي العام ايعنا .

بولينا : ماذا تعرفين عن ذلك ، يا تاتيانا ؟ يعتبر زاخـــار واحداً من الحمر في محافظتنا .

تاتيانا (تسير جيئة وروحة) : أعتقد أنه صار أحمر بدافـع الخجل ليس غير ، وليس في كثير من الأحيان على أيـة حال .

بولينا : تاتيانا ! ماذا ألمّ بك بربك ؟

تاتيانا : لماذا ، هل أغضبتك ؟ لم أكن أقصد ذلك . فيخيل اليّ أن حياتكم أشبه بمسرحية يمثلها هواة . لقـــد أسيئ توزيع الأدوار ، وليس ثمة انسان يتحلى بأية موهبة . وكل واحد يمثل بصورة فظيعة . وتظـــل المسرحية دونما أدنى معنى .

نيقولاي : ثمة بعض الحقيقة فيما تقولين . فكل واحد يشكـو من أن المسرحية مضجرة .

تاتيانا : نحن الذين جعلناهــا مضجرة . ويتراءى لـــي أن القائمين بالادوار الثنائية شرعــوا يدركون ذلــك . ولسوف يطردوننا من خشبة المسرح يوماً ما .

(يدخل الجنرال وكون)

نيقولاي : أفلست تبالغين قليلاً ؟

الجنرال (ينادي وهو يقترب) : بولينا ! شيئاً مــن الحليــب للجنرال ! وليكن بارداً جداً ! (الى نيقولاي) مرحبــاً ، يا كفناً قديماً للقوانين ! . . يدك ، يا ابنة أخـــي الفاتنة ! كون ، أجب على السؤال : ما هو الجنوي ؟

كون (ضجراً) : كما يريده رئيسه ، يا صاحب السعادة !

الجنرال : واذا أراده أن يكون سمكة ، ايه ؟

كون : يجب أن يكون الجنري قادراً على أن يكــون أى شيء كان .

تاتيانا : عماه العزيز ، لقد سليّتنا بهذا المشهد البارحة . أيجب أن يتكرّر علينا كل يوم ؟

بولينا (متنهدة) : كل يوم بعد حمامه .

الجنرال : أجل كل يوم حقاً . وشيء متنوع عـــلى الدوام . ينبغي لهذا المهرج العجوز أن يصنع الأسئلــة وأن يجيب عليها من تلقاء نفسه .

تاتيانا : أتستمتع بذلك ، يا كون ؟

كون : صاحب السعادة يستمتع به .

تاتيانا : ولكن انت ؟

الجنرال : انه يحب ذلك ، هو الآخر !

كون : أنا متقدم كثيراً في السن كي أصلح للسيرك . ولكن ، ما دام المرء يريد أن يأكل ، فلا بدّ له من التكشير والصبر على ذلك .

الجنرال : أنت ، الوغد العجوز المكّار ، أنت ! يميناً دُرْ ! الى الأمام ، سِرْ !

تاتيانا : أفلا تتعب أبداً من الهزء من هذا الشيخ ؟

الجنرال : أنا الآخر شيخ . ولكني تعبت منك أيضاً . ينبغي أن تكون الممثلة مسلية . وأنت لست كذلك بكل تأكيد .

بولينا : عماه ، هل تعلم . . . ؟

الجنرال : أنا لا أعلم شيئاً البتة .

بولينا : اننا نغلق المعمل . . .

الجنرال : ماذا ؟ عظيم ! لن يكون صفير بعد الآن اذن ! في وقت مبكر من كل صباح ، في منتصف رقاد عميق بالضبط – أو – أو – أو – أو ! هذا حق ! ألا فاغلقوه !

ميخائيل (يدخل مسرعاً) : نيقولاي ، دقيقة واحدة ! حسناً ، لقد أغلق المصنع ، ولكن يفضل أن نتخذ بعض التدابير ، في حالة . . . أرسل برقية الى نائب الحاكم ، أخبره بالحالة بصورة مقتضبة ، واسأله أن يرسل جنوداً . وقّع باسمي .

نيقولاي : هو صديقي أيضاً .

ميخائيل : سوف أرسل أولئك الممثلين الى الشيطان . لا

تحدث أحداً بموضوع البرقية . سوف أخبرهم ذلك بنفسي عندما يحين الأوان . اتفقنا ؟

نيقولاي : اتفقنا .

ميخائيل : ينتاب المرء احساس رائع حين تسير الأمور على هواه . اني أكبر منك في السن ، لكني أصغر منك في الروح ، أفلا تعتقد ذلك ؟

نيقولاي : ليس هذا شباباً ، بل عصبية ، اذا سألتني رأيي .

ميخائيل (باستهزاء) : حسناً ، سوف أريك ان كانت عصبية أم لا . سوف ترى ! (يخرج ضاحكاً .)

بولينا : هل قرروا أن يفعلوا ذلك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي (وهو يخرج) : فيما يبدو .

بولينا : أيتها السماوات الطيبة !

الجنرال : ماذا قرروا أن يفعلوا ؟

بولينا : أن يغلقوا المعمل .

الجنرال : أوه ، هذا . . . يا كون !

كون : حاضر !

الجنرال : صنّارات الصيد والقارب !

كون : كل شيء جاهز .

الجنرال : اني غادٍ أتسلّى بالسمك ، وافضل ذلك على أن أتملّل مع البشر . (يضحك .) لقد عبّرت عن ذلك حسناً ، ها ؟ (تدخل ناديا راكضة) آه ، يا فراشتي الحلوة ! ما الذي يجري ؟

ناديا (سعيدة) : جرت معنا للتو مغامرة ! (تستدير وتنادي) أرجوك أن تأتي الى هنا ! غريكوف ! لا تسمحي له بالذهاب ، يا كليوباترا بتروفنا ! ونحن نخرج من الغابة بالضبط ، يا خالتي ، وقعنا فجأة على ثلاثة عمال سكارى . . .

بولينا : هكذا اذن ! لقد حذّرتك . . .

كليوباترا (يتبعها غريكوف) : أيمكن أن تتصوروا شيئاً أبعث على الاشمئزاز ؟

ناديا : لماذا يبعث على الاشمئزاز ؟ كان ذلك مسلياً جداً ! ثلاثة عمال ، يا خالتي ، يبتسمون جميعاً ويقولون : «صباحاً سعيداً ، يا سيداتنا الصغيرات العزيزات !»

كليوباترا : سوف أطلب من زوجي بكل تأكيد أن يسرّحهم .

غريكوف (مبتسماً) : لأى سبب ؟

الجنرال (الى ناديا) : من هو هذا . . . منظف مداخن ؟

ناديا : انه ذلك الذي أنقذنا ، يا جداه ، الا تفهم ذلك ؟

الجنرال : كلا ، لا أفهم شيئاً .

كليوباترا (الى ناديا) : لكأن أحداً كان يستطيع أن يفهم بالطريقة التي رويت بها ذلك .

ناديا : رويت ذلك كما حدث بالضبط .

بولينا : حسناً ، لا يستطيع أحد أن يفهم شيئاً مما تقولين ، يا ناديا .

ناديا : ذلك أنكم لا تفتأون تقاطعونني ! جاؤوا الينا وقالوا :

«أيتها السيدتان ، لماذا لا تشاركاننا في انشاد أغنية . . .»

بولينا : عظيم ! يا للوقاحة !

ناديا : لا شيء من هذا القبيل ! لقد قالوا : «سمعنا انكما تغنيان بصورة رائعة .» وقالوا : «بكل تأكيد ، اننا سكارى بعض الشيء ، ولكننا أفضل حين نكون كذلك .» وتلك هي الحقيقة ، يا خالتي . عندما يكونون سكارى لا يكونون على كآبتهم المعتادة .

كليوباترا : من حسن حظنا أن ذلك الفتى . . .

ناديا : اني أروي ذلك بصورة أفضل منك ! لقد شرعت كليوباترا بتروفنا تزجرهم . . . وما كان يجب أن تفعلي ذلك ، اني على يقين من هذا ! وعندئذ أقبل واحد منهم ، وهو الطويل الناحل بينهم . . .

كليوباترا (متوعدة) : اني أعرف من هو !

ناديا : . . . أمسك بها من يدها وقال بحزن بليغ : «أنت سيدة فائقة الجمال ، عظيمة الروعة ومثقفة ، ومن دواعي السرور أن ينظر المرء اليك . ومع ذلك تزجرين وتعنفين . هل أسأنا اليك ؟» قال ذلك بلطف كثير ، من صميم قلبه . ولكن واحداً آخر – وكان فظاً في الحقيقة – قال بعد ذلك : «فيم تتحدث اليهما ؟ فكأنهما تستطيعان ان تفهما أي شيء كان ! هما ليستا بشراً . . . انهما حيوانات !» يعني أننا نحن – حيوانات . هي وأنا . (تضحك .)

تاتيانا (مستهزئة) : يلوح أنك مسرورة بهذه الصفة .

بولينا : ماذا قلـــت لـك ، يــا ناديـا ؟ فأنت كثيـــرة المشاغل . . .

غريكوف (الى ناديا) : هل أستطيع الذهاب الآن ؟

ناديا : أوه ، كلا . أرجوك لا تذهب . أفلا تود أن تتناول قليلاً من الشاى ؟ . . أم الحليب ؟ أرجوك أن تتناول شيئاً !

(يقهقه الجنرال ، وتهز كليوباترا كتفيها . تراقب تاتيانـا غريكوف وتهمهم بشيء ما بصورة هادئة . تطرق بولينـــا برأسها وتركز انتباهها على الملاعق التي تنشفها بقطعـــة من القماش)

غريكوف (مبتسماً) : كلا ، شكراً . لا ارغب في أي شيء .

ناديا (باصرار) : أرجوك ألا تكون خجولاً . . . هؤلاء قوم لطفاء حقاً ، صدقني .

بولينا (محتجة) : ناديا !

ناديا (الى غريكوف) : لا تذهب الآن ، فأنا لم أنته من رواية القصة كلها .

كليوباترا (مستاءة) : وباختصار ، فان هذا الفتى ظهـــر في الوقت المناسب ، واقنع رفاقه السكارى أن يتركونـا في سلام . وقد طلبت منه أن يرافقنا حتى البيـــت ، وهذا كل شيء .

ناديا : آه ، يا للطريقة التي تروين بها ذلك ! لـــو كان الأمر كذلك ، لكان مضجراً بكل بساطة .

الجنرال : حسناً ، والآن ما الذي يجب استخلاصه من هذا الأمر ؟

ناديا (الى غريكوف) : اجلس ! خالتي ، لماذا لا تدعينه للجلوس ؟ ولماذا أنتم مكتئبون جميعاً ؟

بولينا (الى غريكوف من حيث تجلس) : اني عظيمة الامتنان لك ، أيها الفتى .

غريكوف : لا تعيري ذلك أي اهتمام .

بولينا (بجفاء أكثر) : كان دفاعك عن الامرأة والفتاة بادرة طيبة منك .

غريكوف (بهدوء) : لم تكُ حاجة للدفاع عنهما لأن أحداً لم يقصد الاساءة اليهما .

ناديا : يا خالتي ! كيف تستطيعين أن تقولي مثل هذا القول ؟

بولينا : لا تحاولي أن تلقني الأكبر منك سناً .

ناديا : ولكن أحداً لم يدافع عن أحد بالطبع . لقد قال لهم بكل بساطة : «دعوهما وشأنهما ، أيها الرفاق . فذلك ليس بلطيف منكم .» وكانوا سعداء برؤيته ، فصاحوا : «غريكوف ! تعال معنا ! أنت فتى ذكي .» وفي الحقيقة انه ذكي ، يا خالتي . . . اصفح عني ، يا غريكوف ، ولكن تلك هي الحقيقة .

غريكوف (مبتسماً) : ألقيت بي في وضع حرج للغاية .

ناديا : حقاً ! ولكني لم أقصد ذلك ! لست أنا السبب ، بل هم ، يا غريكوف !

بولينا : ناديا ! أنا لا أستطيع أن أطيق حماستك الفائضة . أنت تجعلين من نفسك أضحوكة . كفاك !

ناديا (بانفعال) : اذن اضحكوا ان كنت أبعث على السخرية ! ما بالكم تجلسون هنا كالبوم ؟ هيا اضحكوا !

كليوباترا : لدى ناديا موهبة عظيمة في تحويل الحبّة الى قبّة وذلك مع كثير من الضوضاء . وهو أمر بغيض بصورة خاصة الآن ، أمام غريب يسخر منها كما ترون .

ناديا (الى غريكوف) : أتسخر مني ؟ لماذا ؟

غريكوف (ببساطة) : أبداً . اني أعجب بك .

بولينا (مرتاعة) : ماذا ؟ عماه . . .

كليوباترا (بضحكة صغيرة) : عظيم !

الجنرال : حسناً ، كفى ! الأشياء الجيدة بالمقادير القليلة ! اليك ، أيها الفتى ، خذ هذا واذهب .

غريكوف (يستدير عنه) : شكراً لك ، فلا ضرورة لاي شيء .

ناديا (تغطي وجهها بيديها) : أواه ! كيف يمكنك !

الجنرال (يوقف غريكوف) : انتظر لحظة ! هذه ورقة من فئة العشرة روبلات !

غريكوف (بهدوء) : وما معنى ذلك ؟

(يرين السكون على الجميع لبرهة وجيزة .)

الجنرال (مضطربا) : هـ . . . . ال . . . من أنت على أية حال ؟

غريكوف : عامل من العمال .

الجنرال : حداد ؟

غريكوف : كلا ، بل برّاد .
الجنرال (بصرامة) : سيّان . لم لا تأخذ هذا المال ، ايـه ؟
غريكوف : لأني لا أريده .
الجنرال (ثائراً) : هراء . ما الذي تريده ؟
غريكوف : لا شيء .
الجنرال : لعلك تود أن تطلب يد الفتاة ، ايه ؟ (يضحك — الجميع يتضايقون بسبب من نكتته .)
ناديا : أوه ! فكّر فيما تقول !
بولينا : أرجوك ، يا عماه . . .
غريكوف (بهدوء الى الجنرال) : ما هو عمرك ؟
الجنرال (مدهوشاً) : ماذا ؟ أنا ؟ . . ما هو عمري ؟
غريكوف (بالنغمة ذاتها) : أجل . ما هو عمرك ؟
الجنرال (يتطلع حواليه) : اذ . . . . ه . . . احدى وستون سنة . . . فيم تريد أن تعرف ذلك ؟
غريكوف (وهو يغادر المكان) : يجب أن تكون أعقـــل في سنك .
الجنرال : ماذا ؟ أعقل ؟ انا ؟
ناديا (تركض خلف غريكوف) : أرجـوك . . . أرجوك ألا تغضب . انه رجل عجوز . انهم قوم لطفـاء حقـاً ، صدقني . بشرفي !
الجنرال : ما معنى هذا ، بحق الشيطان ؟
غريكوف : لا تبالي . فهذا بالضبط ما هو متوقع .
ناديا : سبب ذلك الحرارة وحدها . فهي تجعل الجميـع في

مزاج سيئ . وأنا رويت مغامرتنا بصورة رديئة جداً .

غريكوف (مبتسما) : كيفما رويتها فهم لن يفهموها .

(يختفيان)

الجنرال (مغتاظاً) : كيف جرؤ أن يقول مثل هذا الشيء لي !

تاتيانا : ما كان من شأنك أن تقدم له المال .

بولينا : أوه ، ناديا ! انها ناديا !

كليوباترا : لله در أعصابه ! اليكم هذا الثائر الفخور ! لسوف أطلب من زوجي بالتأكيد أن . . .

الجنرال : يا له من فتى دنيء !

بولينا : ولكن ناديا لا تطاق ! تسير واياه هكذا ! لقد أزعجتني كثيراً !

كليوباترا : هؤلاء الاشتراكيون عندكم يزدادون وقاحة يوما بعد يوم . . .

بولينا : ما الذي يحملك على الظن بأنه اشتراكي !

كليوباترا : أستطيع أن أرى ذلك . فجميع العمال المهذبين اشتراكيون .

الجنرال : سأطلب الى زاخار أن يلقي اليوم هذا الوقح خارج المعمل على أذنه .

تاتيانا : لقد أغلق المعمل .

الجنرال : لا أهمية لذلك . . . على أذنه !

بولينا : تاتيانا ، اذهبي ونادي ناديا . اعملي معروفاً . قولي لها اني مرتاعة .

(تخرج تاتيانا)

الجنرال : الحثالة ! ما هو عمري ، ايه ؟

كليوباترا : أولئك السكارى تواقحوا وصفروا لنا . وأنتم لا تفتأون تدللونهم . . . بالحلقات الدراسية ومـــا شابه ! اي معنى في ذلك ؟

بولينا : تصوروا فقط ، حين كنتُ ذاهبـــةً الى القريـــة يوم الخميس ، واذا بي أسمع صفيرا على حين بغتة ! يصفرون حتى لي أنا ! وكان يمكن أن يخيفوا الجياد ، اذا تركنا جانبا ما في ذلك من اهانة !

كليوباترا (بتحذلق) : اللوم يقع على زاخار ايفانوفيتش ! فهو لا يقيم المسافة بصورة جيدة بينه وبين أولئك القوم ، كما يقول زوجي .

بولينا : هو رقيق القلب جداً ، يريد أن يكون لطيفاً مع كل انسان . وهو مقتنع بأن التفاهم مع عامة الناس يعود بالفائدة على الجانبين . وهو على حقّ فيما يتعلـــق بالفلاحين . فهم يستأجرون الأرض ، ويدفعون الريع ، والأمور جميعاً على غاية الروعة . أما هؤلاء . . .
(تدخل تاتيانا وناديا .) ناديـــا ! يا عزيزتي ، أنت تفهمين أنه لم يكن من اللائق . . .

ناديا (بغضب) : انتم لم تكونوا لائقين ، انتم ! لقد أثرت

الحرارة فيكم – انتم قبيحون معلولون لا تفهمون شيئاً ! وأنت ، يا جداه ، ما أغباك ، وربي !

الجنرال (في هياج) : أنا ؟ غبي ؟ أيجب أن أسمع ذلك مرة ثانية ؟

ناديا : لماذا قلت ذلك – عن طلب يدي ؟ أفلا تخجل ؟

الجنرال : أخجل ؟ حسناً ، هذا يتجاوز كل حدود ! لقد كفاني ما لقيت في يوم واحد . (يغادر المكان ، صائحاً بأعلى صوته) كون ! فليأخذ الشيطان أهلك ! الى أين حملتك قدماك الحمقاوان ، يا مغفل ، يا بليد !

ناديا : وأنت ، يا خالتي ، أنت ! . . لقد كنت في الخارج أيضا . . . وألقيت خطباً رائعة عن السياسة ! ولم تطلبي منه الجلوس . ولم تقدمي له قدحاً من الشاي !

بولينا (تقفز على قدميها وتلقي الملعقة على المائدة) : هذا مستحيل ! هل تدركين معنى ما تقولين ؟

ناديا : وأنت الأخرى ، يا كليوباترا بتروفنا ! . . في طريق العودة كنت كثيرة اللطف والأدب معه ! ولكن ما أن وصلنا الى هنا . . .

كليوباترا : ماذا كان ينتظر مني أن أفعل ، أن أقبّله ؟ اعذريني ، ولكن وجهه كان قذراً . وعلى أي حال ، فمن أعطاك الحق بتعنيفي ؟ أترين ، يا بولينا ديمتريفنا ؟ هذه هي ديمقراطيتكم ، أو ماذا يسمونها – الانسانية ؟ وزوجي المسكين هو الذي يتحمل عواقب ذلك كله . ولكن سوف تضطرون لأن تتحملوا عواقبه أنتم أيضاً . سوف ترين !

بولينا : يجب أن أستميحك العذر ، يا كليوباترا بتروفنا ، لتصرُّف ناديا . . .

كليوباترا (مغادرة المكان) : لا ضرورة لذلك مطلقاً . ليست المشكلة مشكلة ناديا وحدهـــا . . . نحن جميعـــاً ملومون !

بولينا : أصغي اليَّ ، يا ناديا . عندما ماتت أمك وحمّلتني مهمة رعايتك وتنشئتك . . .

ناديا : لا تتحدثي عن أمي ! أنت لا تذكرينها بالخير أبداً !

بولينا (في دهشة) : ناديا ! هل أنت مريضة ؟ فكري فيمـــا تقولين . كانت أمك شقيقتي ، وقد عرفتهـــا بصورة أفضل قليلاً منك .

ناديا (عاجزة عن ضبط دموعها) : أنت لا تعرفين شيئاً . . . الفقراء والأغنياء لا يملكون شيئاً مشتركاً البتة . . . كانت أمي فقيرة ، وكانت طيبة ! . . أنت لا تستطيعين أن تفهمي الفقراء ! بل انك لا تفهمين حتى العمـــة تاتيانا !

بولينا : ناديا ، يجب أن أسألـــك أن تذهبـــي . اذهبي في الحال !

ناديا (مغادرة المكان) : اني ذاهبة . . . ولكني على حق ، على أية حال . أنا ، لا أنت !

بولينا : يا للسموات ! فتاة قوية في صحة جيدة تصاب بمثل هذه النوبة بصورة مباغتة ! هذه هستيريـــا تقريباً ! اصفحي عني ، يا تاتيانا ، ولكني أخاف أن تكوني قد تركت فيها أثراً سيئاً . أنت تحدثينها عن جميـــع الأمور

فكأنها بالغة ، وتذهبين بها بين مستخدمينا – أولئك القوم في المكتب – وأولئك العمال غريبي الأطوار . هذا سخف ، هل تعلمين ؟ وحفلات التجذيف تلك !

تاتيانا : هدئي روعك . لعلّه من الأفضل أن تتناولي جرعة من الشراب أو من أي شيء آخر . مما لا ريب فيه أنك لم تتصرفي بكثير من اللباقة مع ذلك العامل . ما كان يصيب المقعد سوء لو أنك طلبت اليه أن يجلس عليه .

بولينا : انت مخطئة . لا يستطيع أحد بكل تأكيد أن يتهمني باتخاذ موقف سيئ من العمال . ولكن لكل شيء حدوداً ، يا عزيزتي !

تاتيانا : ثم اني لم أذهب بها الى أي مكان مطلقاً ، بالرغم مما تقولين . هي تذهب من تلقاء نفسها . . . ولا أرى من الضروري اعتراض سبيلها .

بولينا : تذهب من تلقاء نفسها ! لكأنها تفهم ماذا تفعل !

(يدخل ياكوف على مهل ، سكران قليلاً)

ياكوف (وهو يجلس) : سوف يحدث اضطراب في المعمل .

بولينا (باكتئاب) : أوقف ذلك ، يا ياكوف ايفانوفيتش !

ياكوف : أجل ، هناك اضطراب . سوف يحدث اضطراب . سوف يحرقون المعمل ويشووننا جميعاً في النار – مثل الأرانب .

تاتيانا (في غيظ) : لقد بكّرت في الشراب .

ياكوف : اني أشرب دائماً في مثل هذه الساعة . لقد رأيت كليوباترا تواً . . . تلك امرأة وضيعة ، وربي ! ليس بسبب عشاقها الكثيرين ، بل لأن كلباً عجوزاً شريراً يقبع حيث يجب أن يكون قلبها .

بولينا (تنهض) : يا للسموات ! كانت الأشياء جميعاً على ما يرام ! ثم اذا كل شيء ، بصورة مباغتة . . . (تشرع تضرب في أنحاء الحديقة دون هدف) .

ياكوف : شرير وأجرب – ليس هو كلباً كبيراً ، لكنه على شيء من الشراهة . انه يقبع هناك مكشّراً عن أنيابه . لقد ازدرد كل شيء ، لكنه يطلب المزيد . سوى أنه لا يعرف ما يريد ، الأمر الذي يشغل باله . . .

تاتيانا : صه ، يا ياكوف ! هذا أخوك آت .

ياكوف : وماذا يهمني من أخي ؟ . . تاتيانا ، أدرك جيداً أنك لا تستطيعين سبيلاً الى حبي بعد الآن ، وهذا موجع . أجل ، موجع ، لكنه لا يمنعني من الاستمرار في حبك . . .

تاتيانا : من الأفضل أن تنشط قليلاً . اذهب واستحم .

زاخار (داخلاً) : هل أعلنوا أن المعمل أغلق ؟

تاتيانا : لا أعلم .

ياكوف : كلا ، لم يعلنوا ذلك ، ولكن العمال يعرفون ذلك على أية حال .

زاخار : كيف ؟ من أخبرهم ؟

ياكوف : أنا أخبرتهم . ذهبت اليهم وحدثتهم بكل شيء .

بولينا (قادمة) : ولمَ فعلت ذلك ؟

ياكوف (يهز كتفيه) : بسبب ما في ذلك من طرافة ليس غير . ولقد وجدوا ذلك مثيراً للاهتمام . اني أروي لهم كل شيء – كل شيء ان كانوا يصغون . أظنهم يستلطفونني ، كما يسعدهم أن يعرفوا أن أخا معلمهم سكير . ذلك يطبعهم بفكرة المساواة بين سائر البشر .

زاخار : هم – م . أنت تذهب كثيراً الى المعمل ، يا ياكوف . ومما لا ريب فيه أني لا أعترض على ذلك . ولكن ميخائيل فاسيليفيتش يقول انك تنتقد الادارة أحياناً أثناء حديثك مع العمال .

ياكوف : هذا كذب . أنا لا أعرف شيئاً عن الادارة ، أو سوء الادارة .

زاخار : وهو يقول أيضاً انك تحمل بعض الفودكا معك احياناً .

ياكوف : هذا كذب . أنا لا أحملها . اني أطلبها ، لا أحياناً ، بل على الدوام . فهم لن يعيروني ادنى اهتمام اذا لم أقدم الفودكا .

زاخار : ولكن ، يا ياكوف ، احكم على ذلك بنفسك – فأنت بعد كل شيء أخو صاحب المعمل .

ياكوف : هذا ليس عيبي الوحيد .

زاخار (مستاء) : حسناً ، لن أزيد شيئاً على ذلك ، لا شيء البتة . اني محاط لسبب ما بجو معاد .

بولينا : تلك هي الحقيقة . كان يجب ان تسمع ما قالت ناديا لتوّها .

بولوغي (يدخل راكضاً) : اسمحوا لي . . . في هذه اللحظة

بالضبط . . . في هذه اللحظة بالضبط . . . قتلوا المدير !

زاخار : ماذا ؟

بولينا : أنت . . . ما الذي قلت ؟

بولوغي : قتلوه تماماً . فسقط على الأرض . . .

زاخار : من ؟ من أطلق النار عليه ؟

بولوغي : العمال .

بولينا : هل أمسكوا بهم ؟

زاخار : أهناك طبيب ؟

بولوغي : لا أدري . . .

بولينا : ياكوف ايفانوفيتش ! اذهب في الحال .

ياكوف (ملوحاً بيده دلالة على العجز) : أين ؟

بولينا : كيف حدث ذلك ؟

بولوغي : كان المدير ثائراً . فرفس أحد العمال في معدته .

ياكوف : انهم آتون الى هنا .

(اضطراب . يؤتى بميخائيل سكروبوتوف يحمله نيقولاي من جانب ، وليفشين وهو عامل أصلع متوسط السن من الجانب الآخر . يرافقهم عدد من العمال والمستخدمين)

ميخائيل (بصوت متعب) : دعوني لوحدي . . ضعوني أرضاً .

نيقولاي : هل رأيت من أطلق النار ؟

ميخائيل : اني لا استطيـــع الاستمرار . . . انـــي . . . متعب . . متعب . . .

نيقولاي (باصرار) : هل لاحظت من أطلق النار ؟
ميخائيل : انكم تؤذونني . انه فتى أحمر الرأس . ضعوني أرضاً . فتى أحمر الرأس .

(يضعونه على المقعد المصنوع من الأعشاب)

نيقولاي (الى شرطي) : أتسمع ؟ فتى أحمر الرأس . . .
الشرطي : أجل ، يا صاحب السعادة .
ميخائيل : آه ، سيّان ذلك الآن .
ليفشين (الى نيقولاي) : أفلا يكون من الأفضل ألا تزعجه الآن ؟
نيقولاي : صمتا ! أين الطبيب ؟ أسألك أين الطبيب !

(يشرع الجميع يتهامسون ويتجولون دونما هدف .)

ميخائيل : لا تزعق . . . الألم . . . دعني أستريح .
ليفشين : هذا صحيح ، استرح قليلاً ، يا ميخائيل فاسيليفتش . آه ، يا الهي ! انها مسألة مال ليس غير ، حياتنا كلها تتوقف عليه ! المال هو حياتنا ، وهو موتنا .
نيقولاي : أيها الشرطي ! اطلب من جميع الذين ليسوا من هذه الدار أن يغادروا المكان .
الشرطي (بصوت خافت) : اذهبوا ، يا فتيان . ليس ثمة ما تراقبونه ههنا .

زاخار (همساً) : أين الطبيب ؟

نيقولاي : ميشا ! ميشا ! (ينحني فوق أخيه ويفعل الجميع مثله .) اخاف أن يكون كل شيء قد انتهى .

زاخار : مستحيل ! لقد أغمي عليه ، ليس أكثر !

نيقولاي (ببطء وبصوت خافت) : كلا ، لقد مات . أتفهم ما معنى ذلك ، يا زاخار ايفانوفيتش ؟

زاخار : ولكن . . . لعلك مخطىء .

نيقولاي : لا ، لست مخطئا . انك **أنت** الذى سببت مقتله — أنت !

زاخار (مرتاعاً) : أنا ؟

تاتيانا : ما أقسى ذلك . . . واسخفه !

نيقولاي (مهاجماً زاخار) : أجل ، أنت !

رئيس الشرطة (يدخل مسرعاً) : أين المدير ؟ هل جرحه خطير ؟

ليفشين : لقد مات . كان يستحث الآخرين دائماً — في عجلة من أمره أبداً . أما الآن فانظروا اليه .

نيقولاي (الى رئيس الشرطة) : استطاع أن يقول لنا ان الفتى الذي قتله كان أحمر الرأس .

رئيس الشرطة : أحمر الرأس ؟

نيقولاي : أجل . ينبغي أن نتخذ التدابير اللازمـة في الحال .

رئيس الشرطة (الى الشرطي) : أوقف في الحال سائر الذين رأسهم أحمر !

الشرطي : حالاً ، يا صاحب السعادة .

رئيس الشرطة : حذار أن يفلت أحد منهم !

(يخرج الشرطي)

كليوباترا (تدخل مسرعة) : أين هو ؟ ميشا ! ما الأمر ، هل أغمي عليه ؟ نيقولاي فاسيليفيتش ، هل أغمي عليه ؟ (يستدير نيقولاي عنها .) هل مات ؟ مات ؟

ليفشين : لقد هدأ الآن . هددهم بغدارته ، لكن الغدارة دارت عليه .

نيقولاي (غاضباً ، بهمس ضئيل) : أخرج من هنا ! (الى رئيس الشرطة) خذ هذا الفتى من هنا !

كليوباترا : الطبيب – ماذا قال الطبيب ؟

رئيس الشرطة (بصوت خافت الى ليفشين) : أخرج من هنا ، أنت !

ليفشين (همساً) : اني ذاهب . لا حاجة الى دفعي .

كليوباترا (دون أن ترفع صوتها) : هل قتلوه ؟

بولينا (الى كليوباترا) : يا حبيبتي !

كليوباترا (بصوت خافت ، ولكن بلهجة منتقمة) : لا تلمسيني ! هذا من صنعك ! من صنعك !

زاخار (بقنوط) : اني أفهم أن هذه صفعة هائلة لك . . . ولكن لمَ . . . لمَ تقولين مثل هذا الكلام ؟

بولينا (باكية) : أواه ، يا عزيزتي . فكري فيما تقولين !

تاتيانا (الى بولينا) : يحسن أن تذهبي من هنا . أين الطبيب ؟

كليوباترا : ميوعتك اللعينة هي التي قتلته !

نيقولاي (بجفاء) : هدئي من روعك ، يا كليوباترا ! فزاخار ايفانوفيتش لا يستطيع امتناعاً عن الاعتراف بذنبه أمامنا .

زاخار (بقنوط) : ولكن يا سادة . . . أنا لا أفهم شيئاً . ماذا تقولون ؟ كيف يمكن أن توجهوا مثل هذا الاتهام ؟

بولينا : هذا فظيع ! مثل هذه القسوة !

كليوباترا : القسوة ؟ لقد ألّبتم العمال عليه ، ودمرتم تأثيره عليهم . كانوا يخافونه . كانوا يرتجفون لدى مجرد رؤيته . والآن قتلوه . وأنتم . . . انتم الملومون . ان دمه على أيديكم !

نيقولاي : كفى ! كفى ! يجب ألا تصيحي .

كليوباترا (الى بولينا) : تبكين ، أليس كذلك ؟ هذا حق ! ابكي ! ابكي دمه كله من عينيك !

الشرطي (يدخل) : يا صاحب السعادة . . .

رئيس الشرطة : صه !

الشرطي : لقد أوقف سائر الحمر الرؤوس !

(يأتي الجنرال عبر الحديقة من الخلف ، يدفع كون أمامه ويضحك بصوت مرتفع .)

نيقولاي : هس — س — س !

كليوباترا : ماذا ، يا قتلة ؟

ستار

الفصل الثاني

قمر براق يلقي ظلالاً كثيفة ثقيلة على الحديقة . المائدة منثورة بالخبز ، والخيار ، والبيض ، وزجاجات الجعة . الشموع تشتعل في الشمعدانات ، واغرافينا تغسل الصحون ، فيما ياغودين جالس على مقعد يدخن وفي يده عصا . الى اليسار تقف تاتيانا ، وناديا ، وليفشين . الجميع يتحدثون بصوت خافت . فكأنهم يصغون الى شيء ما . الجو العام يشير الى توقع مشبع بالتوتر .

ليفشين (الى ناديا) : جميع الأشياء الانسانية سُمت بطابع النحاس ، يا آنسة . وهذا هو السبب في أن قلبك الفتي مثقل . ان البشر جميعاً مقيدون بالسلاسل الى كوبيك نحاسي ، البشر جميعاً ، ما عداك ، وهكذا فأنت لا تتلائمين مع هذه الحال . ان الكوبيك يجلجل برسالته في أذن كل انسان على وجه البسيطة : «حبّني كما تحب نفسك» . ولكن هذا لا يتعلق بك . فالعصفور لا يزرع ولا يحصد .

ياغودين (الى أغرافينا) : بدأ ليفشين يعلّم أسياده ! يا للأبله العجوز !

أغرافينا : لمَ لا ؟ انه يخبرهم بالحقيقة . ان قليلاً من الحقيقة لن يسيئ أبداً الى أسياده .

ناديا : هل حياتك شاقة ، يا ليفشين ؟

ليفشين : ليس كثيراً . فأنا لا أولاد لـي . ان لـي امرأة ، يعني زوجة . ولكن أولادنا ماتوا جميعاً .

ناديا : يا عمتي تاتيانا ! لمَ يتحدث الجميع همساً عندما تكون هنالك جثة في الدار ؟

تاتيانا : لا أدري .

ليفشين (مبتسماً) : ذلك أننا جميعاً مذنبون أمام الميـــت ، يا آنسة . مذنبون من جميع وجهات النظر .

ناديا : ولكن الأمور ليست كذلك بصورة دائمـــة . . . أن الميت . . قتيل . ولكن البشر يتحدثون همساً على أى حال .

ليفشين : اننا نقتلهم جميعاً ، يا آنسة : البعض بالرصاص ، والبعض الآخر بالكلمات . اننا نقتل الجميع بأفعالنا . اننا نطرد البشر من تحت الشمس الى جوف التربة دون أن ندرك ذلك . لكننا نروح نشعر بذنبنا حين نلقـي أخيراً انساناً بين ذراعي الموت . نروح نشعر بالأسف للميت ، وبالخجل من أنفسنا ، فيقوم خوف عظيـــم في باطننا . ذلك أننـــا ، نحن الآخرين ، أفلا ترين ، نطارد بالطريقة عينها ؛ نحن أنفسنا مقدّرون للموت .

ناديا : أجل ، تلك فكرة مخيفة .

ليفشين : يجب الا تقلق بالك . فهي مخيفـــة اليوم ، لكـن النسيان سيغشاها غداً . . . ويأخذ الناس يدفعـــون بعضهم بعضاً من جديد . وحين يقع أحدهم أرضاً يهدأ الجميع ويعروهم الخجل لدقيقة واحدة . ثم يصعّدون زفرة ويبدأون كل شيء من جديد مرة أخرى ، بالطريقة

القديمة بالضبط . انها الجهالة ! ولكنه لا حاجة بك الى الشعور بالخجل ، يا آنسة . الأموات لن يقلقوك . وأنت تستطيعين أن تتكلمي بصوت مرتفع في حضرتهم .

تاتيانا : كيف يجب أن نبدل طريقتنا في الحياة في رأيــــك ، يا ليفشين ؟

ليفشين (بلهجة مشوبة بالأسرار) : ينبغي لنا أن نتخلص من الكوبيك . ينبغي أن ندفنه . اذا ما ذهب الكوبيـــــك مرة ، فلماذا ندفع بعضنـــا بعضاً اذن ؟ لماذا نكون أعداء ؟

تاتيانا : وهذا كل شيء ؟

ليفشين : هذا يكفي لنبدأ به .

تاتيانا : أتودين أن نقوم بنزهة في الحديقة ، يا ناديا ؟

ناديا (متفكرة) : لا بأس .

(تختفيان في أعماق الحديقة ؛ يقطع ليفشين المسرح ميممـــا شطر المائدة . يبدو الجنرال ، وكون ، وبولوغي عند مدخل الخيمة)

ياغودين : أنت تزرع بذورك في تربة صخرية ، يا ليفشين ، أيها الأبله العجوز !

ليفشين : لماذا ؟

ياغودين ؛ لا معنى لمحاولة تعليمهم أى شيء كان . فكأنهم يستطيعون أن يفهموا . ان ما نقول يمكن أن يبلـــغ قلب انسان عامل ، لكنه لن يبلغ قلب النبلاء .

ليفشين : الآنسة الصغيرة ناعمة جداً ، ولقد حدثني غريكوف عنها .

اغرافينا : لعلك ترغب في قدح ثان من الشاي ؟
ليفشين : ان كنت لا تمانعين .

(صمت – ثم يسمع صوت الجنرال الأجش . يلوح ثوبا ناديا وتاتيانا الأبيضان من خلال الأشجار)

الجنرال : أو أنك تأخذ وتراً وتمدّه على عرض الطريق بصورة لا يستطيع انسان أن يراه معها . ويأتي انسان ما ، واذا هو على حين غرة – طُبْ !
بولوغي : ظريف أن ترى انساناً يقع ، يا صاحب السعادة .
ياغودين : أسمعتَ هذا ؟
ليفشين : سمعته جيداً .
كون : لا نستطيع أن نصنع شيئاً من هذا القبيل اليوم ، وفي الدار ميت لم يبارحها . لا يمكن أن تمزحوا وفي الدار ميت .
الجنرال : لا تعلمني ! عندما تموت لن أتعب من الرقص .

(تقترب تاتيانا وناديا من المائدة)

ليفشين : بلغ الجنرال سن الخَرَف .
اغرافينا (تذهب ناحية الدار) : أبداً يدبر بعض الحيل !
تاتيانا (تجلس الى المائدة) : أخبرني ، يا ليفشين : هل أنت اشتراكي ؟

ليفشين (ببساطة) : أنا ؟ لا . أنا وتيموفي – اننا حائكان . هذا ما نحن – حائكان .

تاتيانا : هل تعرف بعض الاشتراكيين ؟ هل سمعت شيئاً عنهم ؟

ليفشين : بلى ، سمعنا عنهم . نحن لا نعرف أحداً منهم ، ولكننا سمعنا عنهم .

تاتيانا : هل تعرف سينتزوف الذي يعمل في المكتب ؟

ليفشين : بكل تأكيد نعرفه . اننا نعرف سائر الرجال في المكتب .

تاتيانا : وهل تحدثت اليه مرة ؟

ياغودين (مضطرباً) : عن أي شيء نستطيع أن نتحدث اليه ؟ هو يشتغل في الطابق العلوي ، ونحن في الطابق السفلي . واذا اضطررنا الى الذهاب الى المكتب أخبرنا بما يريد المدير ، وهذا كل شيء . هذا كل ما نعرف عنه .

ناديا : يبدو أنك تخافنا ، يا ليفشين . لا تخش شيئاً ، فالأمر يثير اهتمامنا حتى درجة بعيدة . . .

ليفشين : ولم نخاف؟ لم نأت عملاً باطلاً . سألونا أن نأتي الى هنا ونحفظ النظام ، ففعلنا ذلك . الناس جنوا هناك . هم يقسمون بأنهم سيحرقون المعمل وكل شيء آخر – ولن يتركوا شيئاً سوى كومة من رماد . حسناً ، اننا لا نوافق على مثل هذه الاساءة . ليس ما يدعو الى احراق الأشياء . ولمَ احراقها ؟ لقد بنيناها بأنفسنا ، نحن وآباؤنا وأجدادنا . . . فلماذا نقدم على احراقها ؟

تاتيانا : آمل ألا تعتقد أننا نسألك كي نسيء اليك !

ياغودين : ولمَ نعتقد هكذا ؟ اننا لا نضمـــر السوء لأي انسان .

ليفشين : اليك ما نفكّر فيه : كل ما بناه الشعب بيديـه مقدس . ينبغي أن تقدر العمل الانساني ، لا أن تقدم على احراق الأشياء . ولكن الناس اظلمت عقولهم . هم يحبون النار . وقد أثار المرحوم غضبهم . كان المرحوم قاسياً معنا . هذا ما لا سبيل الى انكاره . كان يلوّح بغدارته في وجهنا على الدوام ليبعث فينا الخوف . . .

ناديا : وهل زوج خالتي أفضل منه ؟

ياغودين : زاخار ايفانوفيتش ؟

ناديا : أجل . هل هو – لطيف ؟ أم أنه لا يقلُّ عن ذلـك قسوة بالنسبة اليكم أيضاً ؟

ليفشين : لن أقول ذلك .

ياغودين (بكآبة) : هم جميعاً سواء في نظـري ! الصارمون واللطيفون . . . جميعهم متشابهون .

ليفشين (بلطف) : الصارم معلم واللطيف معلم . والسرطان لا يأبه للانسان الذي يقرض في لحمه .

ياغودين (ضجراً) : زاخار ايفانوفيتش رجل طيب القلب .

ناديا : تعني أنه أفضل من سكروبوتوف ؟

ياغودين (بصوت خفيض) : لا تنسي أن المدير لم يعـد في عداد الأحياء .

ليفشين : زوج خالتك رجل طيب في الحقيقة ، يا آنسة . سوى أن ذلك لا يجعل الأمور أيسر علينا مطلقاً .

تاتيانا (ثائرة) : فلنذهب ، يا ناديا . أفلا ترين أنهما لا يريدان أن يفهمانا ؟
ناديا (بصوت خفيض) : أجل . . .

(تخرجان بسكون . يراقبهما ليفشين وهما ذاهبتان ، ثم ينظر الى ياغودين ؛ كلاهما يبتسمان)

ياغودين : ما اكثر اسئلتهما ، أليس كذلك ؟
ليفشين : ألم تسمع ؟ ان الأمر «يثير اهتمامهما حتى درجة بعيدة» .
ياغودين : لعلهما تظنان أننا سنفشي شيئاً ما .
ليفشين : أعتقد أن الآنسة الشابة رائعة جداً . ما أسوأ أن تكون غنية !
ياغودين : من الأفضل أن نخبر ماتفي نيقولايفيتش بالأمر – أن السيدة جرّبت أن تنتزع المعلومات منا .
ليفشين : سوف نخبره . وسوف نخبر غريكوف أيضاً .
ياغودين : أتساءل كيف تسير الأمور ؟ يجب أن تنزل الادارة عند رغبتنا . . .
ليفشين : سوف تذعن . ثم يشرعون ، بعد برهة وجيزة ، يزحموننا بالحائط من جديد .
ياغودين : يبقرون أحشاءنا من جوفنا .
ليفشين : كما تقول .
ياغودين : وَيْ . أواه ! لو أستطيع أن أنال قسطاً كبيراً من النوم !

ليفشين : لم يحن الوقت بعد . هذا الجنرال آتٍ .

(يدخل الجنرال ، بولوغي يسير الى جانبه باحترام ، ووراءهما كون . بولوغي يطبق بصورة مباغتة على ذراع الجنرال)

الجنرال : ما هذا ؟
بولوغي : حفرة في الأرض . حذار من السقوط فيها .
الجنرال : أوه . ما هذا الذي على المائدة ؟ يا لها من فوضى . أكنتما تأكلان هنا ؟
ياغودين : أجل ، يا سيدي . نحن والآنسة الصغيرة .
الجنرال : وهكذا فأنتما تحرسان لنا المكان ؟
ياغودين : أجل ، يا سيدي . فنحن نقوم بواجبنا .
الجنرال : هذا حسن ! سوف أتحدّث الى الحاكم بشأنكما . ما هو عددكم هنا ؟
ليفشين : اثنان .
الجنرال : يا أحمق ! أستطيع أن أعدّ حتى الاثنين . ما هو عددكم جميعا ؟
ياغودين : ثلاثون تقريبا .
الجنرال : هل أنتم مسلّحون ؟
ليفشين (الى ياغودين) : أين تلك الغدّارة التي تحمل ، يا تيموفي ؟
ياغودين : هذه هي .
الجنرال : لا تمسك بها من فوهتها ! يا للشيطان ! كون ،

لقّن هذين الأبلهين كيف يمسكان غدارة بأيديهما !
(الى ليفشين) ألديك مسدس ؟

ليفشين : ليس لدي شيء .

الجنرال : اذا جاء المتمردون ، فهل في نيتكم اطلاق النار ؟

ليفشين : انهم لن يأتوا ، يا صاحب السعادة . لـم يقصدوا شيئاً . . . انما تأججوا لدقيقة واحدة ليس غير .

الجنرال : ولكن اذا أتوا ؟

ليفشين : لقد اغتاظوا ، يـا سيدي . . . بخصوص اغلاق المعمل . بعضهم لديه أولاد .

الجنرال : ما هذا الذي تهذي به ؟ سألتك ان كنتما تنويان اطلاق النار ؟

ليفشين : حسناً ، اننا على أتم استعداد لذلك ، يا سيدي . ولم لا نطلق النار ؟ سوى أننا لانعرف كيف نفعـل ذلك . أضف الى هذا أننا لا نملك شيئاً نطلق النار منه . . . لو كان هذا بندقية ، أو مدفعاً .

الجنرال : كون ! تعال هنا وعلمهما . . . اذهب بهمـا الى الضفة هناك . . .

كون (متجهماً) : اسمح لي أن أقول لـك ان الليل هبط ، يا صاحب السعادة . ولسوف يخاف الناس ويهتاجون اذا شرعنا نطلق النار . ولسوف يأتون جميعاً الى هنـا ليطلّعوا على ما يجري . ولكني سأفعـل كما تقول بالضبط ، فذلك سواء بالنسبة اليّ .

الجنرال : حسناً . أرجىء ذلك الى الغد !

ليفشين : سوف يكون كل شيء على أتم هدوء غداً . سوف يفتحون المعمل غداً .
الجنرال : من الذي سيفتحه ؟
ليفشين : زاخار ايفانوفيتش . انه يحدّث العمال بذلك الآن .
الجنرال : اللعنة ! لو كان الأمر لي ، لأغلقتُ المعمـــل الى الأبد . وكنا خلصنا من ذلك الصفير اللعين عند بكور كل صباح !
ياغودين : لن نمانع ، نحن أيضاً ، اذا هم تأخروا قليلاً في ارسال الصفير .
الجنرال : وكنت أجعلكم تموتون من الجوع . فننتهي بذلك من شغبكم !
ليفشين : اتسمي هذا شغباً ؟
الجنرال : صمتاً ! ماذا تفعلان في هذا المكان على أي حـال ؟ يجب ان تقوما بجولاتكما على طول السور ، فاذا رأيتما أحداً يتسلقه – أطلقا النار في الحال . سوف أكون أنا المسؤول عن ذلك !
ليفشين : تعالَ ، يا تيموفي . هات غدارتك .
الجنرال (يغمغم وراءهما) : غدارة ! يا للحمارين الأحمقين ! لا يعرفان ما هو المسدس حين يشاهدانه !
بولوغي : اسمح لي أن أخبر سعادتك أن عامة الناس هم على العموم خشنون بهيميون . خذ حالتي مثلاً : ان لـــي حديقة ، وأنا أزرع الخضار بنفسي . . .
الجنرال : هذا أمر محمود .
بولوغي : وأنا أكرّس أوقات فراغي كلها لهذا العمل .

الجنرال : كل انسان ينتظر منه أن يعمل !

(تدخل تاتيانا ونادیا)

تاتيانا (عن بعد) : ما بالك تصيح هكذا ؟
الجنرال : آه من هؤلاء الناس ! (الى بولوغي) حسناً ؟
بولوغي : ولكن العمال يسرقون ثمرات جهدي في كل ليلة تقريباً . .
الجنرال : تقول يسرقون ؟
بولوغي : بالضبط . وقد طلبت حماية القانون ، ولكن القانون يمثله في هذا المكان رئيس الشرطة المحترم ، وهو رجل يظهر اللامبالاة التامة بحاجات السكان .
تاتيانا (الى بولوغي) : لماذا تلجأ بربك الى هذه اللهجة البليدة في الكلام ؟
بولوغي (مرتبكاً) : هل أفعل ذلك ؟ أسأل صفحك ، ولكني درست في المدرسة الثانوية طوال ثلاث سنوات ، وأنا اقرأ الصحيفة يومياً .
تاتيانا (مبتسمة) : أوه ! اذن فهذا يفسر كل شيء !
نادیا : انك مضحك جداً ، يا بولوغي .
بولوغي : يسعدني أن يبعث حديثي السرور في نفسك ! ينبغي للمرء ان يسعى لأن يكون دمثاً .
الجنرال : أتحب أن تصطاد ؟
بولوغي : لم أجرب ذلك أبداً ، يا صاحب السعادة .
الجنرال (يهز كتفيه) : جواب غريب !
تاتيانا : ما الذى لم تجربه ، الصيد أم الحب ؟

بولوغي (في حيرة) : الأول .

تاتيانا : والثاني ؟

بولوغي : جرّبت الثاني .

تاتيانا : هل أنت متزوج ؟

بولوغي : أحلم فقط بنعمة الزواج . ولكن نظراً لأني أكسب خمسة وعشرين روبلاً في الشهر فقط (يدخل نيقولاي وكليوباترا مسرعين) فاني لا أجرؤ على المجازفة بمثل هذه الخطوة .

نيقولاي (غاضباً) : مدهش بكل بساطة ! فوضى مطلقة !

كليوباترا : كيف يستطيع ! كيف يتجاسر !

الجنرال : ما بالكما ؟

كليوباترا (صائحة) : ابن أخيك فظيع ! لقد استجاب لسائر طلبات العصاة ، قتلة زوجي !

ناديا (بصوت خفيض) : ولكنهم ليسوا قتلة جميعاً !

كليوباترا : انه يسخر من جثمان الميت ! ومني ! أن يفتح المعمل قبل أن يدفن الرجل الذي قتله أولئك الأوغاد بالضبط لأنه أغلق المعمل .

ناديا : ولكن زوج خالتي يخشى أن يحرقوا كل شيء !

كليوباترا : أنت طفلة وينبغي أن تمسكي لسانك !

نيقولاي : يا للخطاب الذي ألقاه ذلك الفتى ! دعاية اشتراكية واضحة جداً !

كليوباترا : ثمة كاتب يترأسهم ويقدم لهم النصائح . ولقد وجد الجرأة على القول ان الجريمة حرّض عليها المرحوم نفسه !

نيقولاي (يكتب شيئاً في مفكرته) : ذلك الفتى يثير شكوكي . انه أذكى من أن يكون مجرد كاتب .

تاتيانا : أتتحدث عن سينتزوف ؟

نيقولاي : أجل .

كليوباترا : أشعر كأن انساناً ما بصق في وجهي .

بولوغي (الى نيقولاي) : اسمح لي أن أبدي هذه الملاحظة . ان السيد سينتزوف يقرأ الصحف دائماً ويعلّق بصورة مفصلة على الأحداث السياسية . وهو كثير النقمة على السلطات .

تاتيانا (الى نيقولاي) : أمعنيّ أنت بسماع مثل هذه القصص ؟

نيقولاي (متحدياً) : أجل ، أنا معنيّ ! أتحاولين أن تخجليني ؟

تاتيانا : يخيل اليّ أن لا مكان هنا للسيد بولوغي .

بولوغي (مرتبكاً) : أسأل صفحك . سأذهب على الفور . (يخرج) .

كليوباترا : هذا هو قادم . لا أريد رؤيته . فأنا لا أطيقه . (تخرج متسارعة)

ناديا : ماذا يجري ؟

الجنرال : ان سني المتقدمة لا تسمح لي بمثل هذه الانفعالات . جرائم قتل ، وثورات . كان من واجب زاخار أن يتكهن بهذه الأشياء جميعاً عندما دعاني لقضاء فترة راحة هنا . (يدخل زاخار ، مهتاجاً لكنه مسرور . عندما يرى نيقولاي يتوقف في حيرة ويصلح

من وضع نظارتيه .) اسمع ، يا ابن أخي العزيز . هل تدرك ما فعلت ؟

زاخار : لحظة واحدة ، يا عماه . نيقولاي فاسيليفيتش !

نيقولاي : نعـ – مم . . .

زاخار : كان العمال في حالة من الهياج العظيم بحيث . . . خشيت أن يدمروا المعمل بأسره . . . وهكذا ، فقد لبيّت طلبهم في عدم اغلاق المعمل اليوم . وكذلك طلبهم الخاص بديتشكوف . سوى أني قبلت ذلك بشرط أن يسلموني المجرم ، وقد شرعوا منذ الآن يفتشون عنه .

نيقولاي (بجفاء) : ما كان يجب أن يزعجوا أنفسهم . سوف نجد المجرم دون مساعدتهم .

زاخار : بدا لي من الأفضل أن يجدوه بأنفسهم . ذلك افضل . ولقد اتفقنا أن نفتح المعمل غداً بعد الغداء .

نيقولاي : من تعني بكلمة – اتفقنا ؟

زاخار : أنا . . .

نيقولاي : آ –ها ! شكراً لهذه المعلومات . انما يخيل اليّ على أية حال أن مكان أخي ، بعد وفاته ، يجب أن نحتله أنا وزوجته . واذا لم أكن مخطئاً ، فقد كان يجب أن تشاورنا في الموضوع ولا تتخذ القرار لوحدك .

زاخار : ولكني طلبت منك القدوم ! بل جاء سينتزوف في طلبك ، ورفضت أن تأتي .

نيقولاي : ما كان يتوقع مني أن أفكر في قضايا العمل يوم وفاة أخي .

زاخار : ولكنك ذهبت الى المعمل على أية حال .

نيقولاي : ذهبت . ذهبتُ استمع الى خطاباتهم . ماذا في ذلك ؟

زاخار : لكن ، أفلا تفهم ؟ يبدو أن المرحوم أرسل برقية الى سلطات المدينة لترسل قوات عسكرية ، وقد جاء جوابها يقول ان هذه القوات ستصل في صبيحة الغداة .

الجنرال : أها ! جنود ! هذا كلام جدي ! فلن يكون ثمة حماقات وعلى المسرح جنود !

نيقولاي : هذا تدبير حكيم جداً !

زاخار : أنا لست على يقين من ذلك . اذا جاءت القوات العسكرية ازداد هياج العمال أكثر من أي وقت آخر . والرب وحده يعلم ما يمكن أن يقدموا عليه اذا لم نفتح المعمل ! أعتقد أني فعلت الصواب . فعلى الأقل لن تراق الدماء .

نيقولاي : لي وجهة نظر أخرى في الموضوع . ما كان يجب أن تستجيب لكل مطالب أولئك . . . المخلوقات ، ولو احتراماً لذكرى المرحوم فقط .

زاخار : ولكن الا ترى أن هذا يمكن أن يقود الى مأساة أعظم ؟

نيقولاي : هذا لا يعنيني في كثير أو قليل .

زاخار : صحيح ، ولكن ماذا عني ؟ أنا الذي سأعيش بين

العمال ! فاذا أريق دمهم . . . فيمكن أن يدمروا المعمل بأسره !

نيقولاى : لا أعتقد ذلك .

الجنرال : ولا أنا أيضاً !

زاخار (بقنوط) : وهكذا ، فأنت تلومني على ما فعلت ها ؟

نيقولاي : أجل ، ألومك .

زاخار (بصدق) : لماذا يجب أن تكون هذه العداوة كلها ؟ انما أريد شيئاً واحداً ، ألا وهو تفادي هول هو عظيم الاحتمال . لا أريد اراقة الدماء . أحق أنه يستحيل ايجاد طريقة مسالمة ومعقولة للحياة ؟ أنت تحقد عليّ ، والعمال لا يثقون بي . أريد أن أفعل ما هو حق . الحق وحده !

الجنرال : من يدري ما هو الحق ؟ بل هذه ليست كلمة ، ولكن مجموعة من الأحرف ليس غير . ح من أجل حمار ، ق من أجل قرف . ولكن الاعمال هي الأعمال ، أفليست الأمور كذلك ؟

ناديا (وعيناها تغصان بالدموع) : ألا فاهدأ ، يا جداه . زاخار ايفانوفيتش . . لا تنزعج . انه لا يفهم . أواه ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ، لماذا أنت لا تفهم ؟ أنت ذكي جداً . لماذا لا تثق بزوج خالتي ؟

نيقولاي : آسف . ولكني سأذهب ، يا زاخار ايفانوفيتش . أنا لم أعتد أن يتدخل الأطفال في شؤون المعمل .

(يخرج)

زاخار : أرأيت ذلك ، يا ناديا ؟
ناديا (تمسك يده) : لا عليك . الأمر الهام هو أن يرضى العمال . ثمة الكثيرون منهم ، وعددهم أكثر منا .
زاخار : انتظري لحظة . . . يجب أن أقول لك اني مستاء كثيراً منك ، يا ناديا . كثيراً .
الجنرال : وكذلك أنا !
زاخار : أنت تتعاطفين مع العمال . هذا أمر طبيعي في مثل سنك ، انما لا يجوز لك أن تفقدي حس الفارق بينك وبينهم ، يا عزيزتي . هذا الصباح جئت بذلك الفتى غريكوف الى المائدة . اني أعرفه ، فهو فتى ذكي . بيد أنك ما كنت تملكين الحق في اغاظة خالتك بسببه .
الجنرال : هذا حق ! لا تقصّر في تعنيفها !
ناديا : ولكنك لا تعرف كيف حدث ذلك كله .
زاخار : تستطيعين أن تكوني على يقين من أني أعرف أكثر مما تعرفين أنت . قومنا قساة وغير مثقفين ، ان أعطيتهم اصبعاً أطبقوا على اليد بأسرها .
تاتيانا : كما يتعلق الرجل الغريق بقشة .
زاخار : انهم جشعون أفظاظ ، ولا ينبغي ملاطفتهم ، بل تثقيفهم . هذا هو الواقع – تثقيفهم . كوني طيبة وفكري في الأمر ملياً .
الجنرال : والآن سأقول كلمتي . الشيطان وحده يعلم كيف كان سلوكك نحوى ، أنت أيتها الثعلبة الصغيرة . فلأذكّرك بأنه لا بدّ لك من أربعين سنة حتى تلحقي بي في مضمار السن ، وينبغي لك أن تنتظري هذه المدة

كلها قبل ان اسمع لك بمخاطبتي كندّ . تذكري هذا . كون !

كون (من بين الأشجار) : هذا أنا .

الجنرال : أين ذلك . . . ماذا نسميه . . . ذلك البزال ؟

كون : أى بزال ؟

الجنرال : ذلك . . . ما اسمه ؟ ذلك الناحل المراوغ . . .

كون : أوه ، بولوغي . لا ادري .

الجنرال (يذهب صوب الخيمة) : ابحث عنه .

(يذهب زاخار ويأتي مطرق الرأس ، يمسح نظارتيه بمنديل جيبه . تجلس ناديا مستغرقة في تفكير عميق ، فيما تاتيانا لا تبرح واقفة تراقبهما)

تاتيانا : هل عُرف القاتل ؟

زاخار : يقولون انهم لا يعرفون ، ولكنهم وعدوا بالعثور عليه . انهم يعرفون طبعاً . أعتقد . . . (يتطلع حواليه ويخفض صوته) أعتقد أنهم اتفقوا على ذلك فيما بينهم . تلك مؤامرة . صحيح أنه اغاظهم حتى درجة اليأس . لم يكن يقف عند حد . لقد كان حب القوة داء أصابه . وهكذا قتلوه . ذلك شنيع طبعاً ، أليس كذلك ؟ شنيع في بساطته بالذات . لقد قتلوه فعلاً ، وهم ما برحوا ينظرون اليك بأعين صافية صريحة ، فكأنهم لا يدركون أنهم ارتكبوا اثماً . ان ذلك كله بسيط بصورة مروّعة .

تاتيانا : يقولون ان سكروبوتوف كان على وشك اطلاق النار حين انتزع أحدهم المسدس من يده و . . .

زاخار : هذا لا يهمُ . فهم الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وليس هو .

ناديا : لماذا لا تجلس ؟

زاخار : لماذا أرسل في طلب الجنود ؟ لقد اكتشفوا ذلك مثلما هم يكتشفون كل شيء ، وهذا عجّل بموته . طبعاً لم يكن لي بدّ من فتح بوابات المعمل . فلو لم أفعل ذلك ، لفسدت علاقاتي معهم لفترة مديدة من الزمن . هذا وقت ينبغي للمرء أن يظهر لهم فيه مقداراً أكبر من الاهتمام والاعتبار . من يدري كيف يمكن أن ينتهي ذلك ؟ الانسان العاقل لا بدّ له ان يحرص في مثل هذا الوقت على أن يكون له أصدقاء بين عامة الشعب . (يظهر ليفشين على المسرح .) من القادم ؟

ليفشين : هذا نحن . . . نقوم بالحراسة .

زاخار : حسنا ، يا ليفشين ، الآن وقد قتلتم انساناً أصبحتم لطافاً مسالمين ، ها ؟

ليفشين : نحن دائماً كذلك ، يا زاخار ايفانوفيتش . . . دائماً مسالمون .

زاخار (منتهراً) : آه ، وأنتم تقتلون الناس بصورة مسالمة ، ها ؟ وبالمناسبة ، فقد بلغني أنك تنشر بعض الأفكار ، يا ليفشين . بعض الأفكار الجديدة الخبيثة عن عدم الحاجة الى المال والمعلمين وما شابه من الأشياء بعد

الآن . هذا أمر يمكن الصفح عنه . . . هذا أمر يمكن فهمه . . . عند ليف تولستوي . ولكن من الأفضل أن تكفّ عنه ، يا صديقي فلن ينتج شيء حسن عن مثل هذا الكلام .

(تخرج تاتيانا وناديا من اليمين ، حيث يسمع صوتا سينتزوف وياكوف . يظهر ياغودين من خلف الأشجار .)

ليفشين (بهدوء) : أي كلام ؟ لقد عشت طويلاً ، وفكرت ملياً ، وأنا أقول ما أفكر فيه .

زاخار : ليس المعلمون وحوشاً . ينبغي لكم أن تفهموا هذا . أنتم تعرفون أني لست امرءا وضيعاً ، وأنا على أتم الاستعداد دائماً لمساعدتكم . اني أريد أن أصنع ما هو أفضل .

ليفشين (متنهداً) : أثمة انسان يريد أن يسيئ الى نفسه ؟

زاخار : لكن ، ألا تستطيعون أن تفهموا أني أريد أن أصنع ما هو أفضل لكم ؟

ليفشين : نحن نفهم ذلك .

زاخار (يحدّق فيه) : لا ، انت مخطئ . أنتم لا تفهمون . يا لكم من قوم غريبين – أنتم أحياناً مثل الحيوانات ، وفي أحيان أخرى مثل الأطفال الصغار .

(يخرج . يظل ليفشين واقفاً معتمداً عصاه يراقبه وهو يذهب .)

ياغودين : قرأ عليك موعظة أخرى ؟
ليفشين : انه صيني . صيني حقيقي . ماذا يحاول أن يقول ، يا ترى ؟ أنه لا يستطيع أن يفهم أي انسان آخر سوى نفسه !
ياغودين : يقول انه يريد أن يصنع ما هو حق ، ما هو أفضل .
ليفشين : صحيح .
ياغودين : فلنذهب ، فهؤلاء هم قادمون .

(ينسحب ليفشين وياغودين الى أعماق الحديقة . تدخل تاتيانا ونادياوياكوف وسينتزوف الى المسرح من الجانب الأيمن)

ناديا : اننا لا نبرح ندور وندور في حلقات مفرغة فكأننا في حلم .
تاتيانا : أتودُّ شيئاً تأكله ، يا ماتفي نيقولايفيتش ؟
سينتزوف : أفضل قدحاً من الشاي . لقد تكلمت كثيراً اليوم حتى يؤلمني حلقي .
ناديا : ألا تخاف شيئاً ألبتة ؟
سينتزوف (يجلس الى المائدة) : أنا ؟ كلا ، لا شيء على الاطلاق !
ناديا : اني خائفة . لقد اختلطت الأشياء بصورة مباغتة ، فأنا لا أستطيع الآن أن أميز من هو المصيب ومن هو المخطئ .
سينتزوف (مبتسماً) : لسوف تصحح هذه الأشياء . انما لا

تخافي من التفكير . فكري دون جزع ، ولا تتوقفي عن التفكير حتى تبلغي النهاية . على العموم ، ليس هناك ما يخشى جانبه .

تاتيانا : أتعتقد أن كل شيء هدأ ؟

سينتزوف : نعم . فالعمال ، نادراً ما يربحون ، وكل انتصار صغير يحمل اليهم رضى عظيماً .

ناديا : هل أنت مغرم بهم ؟

سينتزوف : ليس هذا بالمقصود . لقد عشت معهم زمناً طويلاً ؛ وأنا أعرفهم وأعرف قوتهم . اني أؤمن بذكائهم .

تاتيانا : وأن المستقبل لهم ؟

سينتزوف : أجل ، أؤمن بذلك أيضاً .

ناديا : المستقبل . هذا شيء لا أستطيع تصوّره .

تاتيانا (مستهزئة) : انهم عصابة خبيثة ، بروليتاريوك هؤلاء ! فقد جربت وناديا أن نتحدث اليهم ، ولكن شيئاً لم ينتج عن ذلك الحديث .

ناديا : لم يكن ذلك على شيء كثير من اللطف . لقد تحدث الينا الرجل العجوز وكأننا شريرتان . جاسوستان أو شيء من هذا القبيل . ولكن هناك رجلاً آخر ، غريكوف . . . انه ينظر الى الناس بصورة مختلفة . الرجل العجوز يبتسم أبداً فكأنه يرثي لنا ، فكأننا مريضتان .

تاتيانا : كفّ عن الاكثار من الشرب ، يا ياكوف . لا أطيق أن أنظر اليك .

ياكوف : ماذا ينتظر مني أن أفعل ؟
سينتزوف : أليس ثمة شيء آخر تفعله ؟
ياكوف : أحس قرفاً ، قرفا لا يقهر ، من العمل وكل ما يتعلق به . اسمع ، أنا أنتسب الى المرتبة الثالثة .
سينتزوف : الى ماذا ؟
ياكوف : المرتبة الثالثة . الناس مقسمون الى مراتب ثلاث : المرتبة الأولى تتألف من أولئك الذين يعملون طوال حياتهم ، والثانية من أولئـــك الذين يوفرون المال ، والثالثة من أولئك الذين لا يريدون أن يكسبوا خبزهم لأنه لا معنى في ذلك ، ولا يستطيعون أن يوفروا المال لأن ذلك جنون – حسناً ، ذلك دون مستواهم . وهذه المرتبة الثالثة – هي أنا . والى هذه المرتبة ينتســب سائر الناس الكسالى ، الأفاقـــون ، والرهبـــان ، والمتسولون ، والطفيليات الأخرى في هذا العالم .
ناديا : لماذا تقول مثل هذه الأشياء المضجرة ، يا عماه ؟ وأنت لست على هذا الغرار أبداً . فأنت لطيف رقيق القلب .
ياكوف : وبكلام آخر لا أنفع شيئاً . هذا ما أدركته منذ كنت في المدرسة . ان الناس يلتحقون بهذه المراتب الثلاث قبل أن يكبروا .
تاتيانا : كانت ناديا على حق عندمـا قالـــت انـك مضجر ، يا ياكوف .
ياكوف : أنا أوافقها . يا ماتفي نيقولايفيتش ، هل تعتقد أن للحياة وجها ؟

سينتزوف : ربما . . .

ياكوف: ان لها وجهاً . ووجهها فتي على الدوام . قبل زمن غير بعيد كانت الحياة تنظر اليّ في لامبالاة ، أما الآن فهي تنظر اليّ بصرامة ولا تبرح تسأل : «من أنت ؟ الى أين أنت ذاهب ؟» (يبدو أنه خائف من شيء ما ، وحين يجرّب أن يبتسم ترتجف شفتاه ويلتوي محياه في تكشيرة تبعث على الشفقة .)

تاتيانا : أوه ، دع عنك هذا ، يا ياكوف . . . هذا المدعي العام قادم . . . لا أريدك أن تقول مثل هذه الأشياء أمامه .

ياكوف : حسناً .

ناديا (بصوت خافت) : كل امرىء يتوقع أن يحدث شيء مخيف . لماذا لا يسمحون لي بمصادقة العمال ؟ ذلك سخيف جداً .

نيقولاي (مقترباً) : هل أستطيع أن أتناول قدحاً من الشاي ؟

تاتيانا : طبعاً .

(يجلس الجميع في سكون بضع ثوان فيما يقف نيقولاي يحرك ملعقة في قدح الشاي .)

ناديا : أودّ أن أعلم لماذا لا يثق العمال بزوج خالتي ، وعلى العموم . . .

نيقولاي (متجهماً) : هم لا يثقون الا بأولئك الذين يلقون الخطب في موضوع : «يا عمال العالم ، اتحدوا !» انهم يثقون بهم كل الثقة .

ناديا (بصوت خافت ، وهي تهزُّ كتفيها) : هذه الكلمات – هذا النداء الى عمال جميع البلدان – تجعلني أتصوَّر أني أخرج عن نطاقه ، فكأن الناس الذين مثلنا غير مرغوب فيهم .

نيقولاي (في هياج) : صحيح تماماً ! كل انسان متحضر لا بدّ أن يشعر بمثل هذا الشعور ، واني على يقين أن نداء آخر سيتردد عما قريب : «يا شعوب العالم المتحضرة ، اتحدوا !» لقد آن الأوان للمناداة بذلك . آن الأوان ! ان البرابرة على وشك أن يدوسوا بالأقدام ثمار آلاف السنوات من الحضارة . هم في سبيلهم الى ذلك ، يدفعهم جشعهم ونهمهم !

ياكوف : انهم يحملون أرواحهم في معداتهم ، معداتهم الفارغة ، وذلك منظر يدفعكم الى الشرب .

(يصب لنفسه كأساً من الجعة)

نيقولاي : القطيع آتٍ ، يستحثه الجشع ، وقد وحدت صفوفهم رغبتهم الواحدة ، ألا وهي ابتلاع كل شيء .

تاتيانا (متفكرة) : القطيع . . القطيع في كل مكان . في المسارح ، في الكنائس . . .

نيقولاي : ماذا يستطيع هؤلاء الناس أن يعطوا ؟ لا شيء سوى الدمار . . . ولاحظوا أن الدمار سيكون أشدّ هولاً هنا ، بيننا ، منه في أي مكان آخر .

تاتيانا : يبدو لي غريباً دائماً أسمع الناس يتحدثون عن العمال كبشر متقدمين . هذا بعيد عن فهمي لهم .

نيقولاي : وأنت ، أيها السيد سينتزوف ؟ . . لا أعتقد أنك توافقنا !

سينتزوف (بهدوء) : لا ، لست أوافقكم .

ناديا : هل تذكرين ، يا عمتي تانيا ، ما قال الرجل العجوز عن الكوبيك ؟ كان كلامه بسيطاً جداً .

نيقولاي : لماذا لا توافقنا ، يا سيد سينتزوف ؟

سينتزوف : لأني أفكر بطريقة مختلفة .

نيقولاي : جواب معقول جداً . ولكن لعلك تقاسمنا وجهات نظرك ؟

سينتزوف : لا أعتقد أني أبالي بذلك .

نيقولاي : يؤسفني كثيراً أن أسمع ذلـــك . وانما يعزيني الأمل في أن موقفك سيتبدل عندما نلتقي مرة أخرى . يا ياكوف ايفانوفيتش ، أرجو أن ترافقني الى البيت ، أن كنت لا أثقل عليك بذلك . لقد تحطمت أعصابي .

ياكوف (ينهض بصعوبة) : بكل سرور ، بكل سرور .

(يخرجان)

تاتيانا : هذا المدعـــي العام شخص بغيض . ومن الصعب موافقته على أي شيء ينطق به .

ناديا (تنهض) : اذن ، فلماذا توافقينه ؟

سينتزوف (مستهزئاً) : أجل لماذا ، يا تاتيانا بافلوفنا ؟

تاتيانا : ذلك أن آراءنا متشابهة .

سينتزوف (الى تاتيانا) : أنت تفكرين مثـــل تفكيره ، لكن

شعورك يختلف عن شعوره . أنت تريدين أن تفهمي ، أما هو فلا يعنى بذلك مطلقاً . فالفهم لا يعنى شيئاً بالنسبة اليه .

تاتيانا : لا بدّ أنه شديد القسوة .

سينتزوف : بلى ، أنه كما تقولين . هو يعالج في المدينة القضايا السياسية ، وموقفه من أولئك الذين يعتقلون يبعث على الاشمئزاز .

تاتيانا : وبالمناسبة ، فقد كتب شيئاً عنك في مفكرته .

سينتزوف (مبتسماً) : لا أشك في ذلك . لقد تحدث كثيراً الى بولوغي وهو لا يفوته شيء على الاطلاق . تاتيانا بافلوفنا ، لي رجاء عندك .

تاتيانا : سأكون سعيدة بانجاز كل ما في وسعي .

سينتزوف : شكراً لك . اعتقد أن الدرك قد استدعوا .

تاتيانا : صحيح .

سينتزوف : هذا يعني أنهم سيفتشون الدور . أيمكنك أن تخبئي شيئا لي ؟

تاتيانا : أتظن أنهم سيفتشون بيتك ؟

سينتزوف : بكل تأكيد .

تاتيانا : وقد يعتقلونك ؟

سينتزوف : لا أظن ذلك . ولمَ يفعلون هذا ؟ لأني ألقي خطابات ؟ ولكن زاخار ايفانوفيتش يعلم أني أدعو العمال الى النظام في جميع خطاباتي .

تاتيانا : وهل ماضيك نظيف ؟

سينتزوف : ليس لي ماضٍ . هل ستساعدينني ؟ ما كنت

أزعجك لولا اعتقادي أن سائر منازل الذين يمكن أن يخبئوا هذه الأشياء لي سوف تفتش غداً . (يضحك بصوت خافت)

تاتيانا (مرتبكة) : سوف أتحدث بصراحة . . . ان مركزي في هذه الدار لا يسمح لي باستعمال الغرفة التي أعطيت لي كأنها غرفتي الخاصة .

سينتزوف : وبكلام آخر لا تستطيعين ؟ حسناً ، اذن . . .

تاتيانا : أرجوك ألا تستاء مني .

سينتزوف : طبعاً لا . ان رفضك مفهوم تماماً .

تاتيانا : ولكن انتظر ، فسوف أتحدث الى ناديا .

(تخرج . ينقر سينتزوف بأصابعه على المائدة وهو يراقبها تبتعد . تُسمع خطوات متلصصة)

سينتزوف (بصوت خافت) : من هناك ؟

غريكوف : هذا أنا . هل أنت وحيد ؟

سينتزوف : نعم ، ولكن ثمة أناساً يتجولون في الأنحاء . ما هي أخبار المعمل ؟

غريكوف (يضحك ضحكة قصيرة) : أنت تعلم أنهم وافقوا على البحث عن ذلك الذي أطلق النار . وهم يقومون بتحقيق الآن . ويصيح البعض أن الاشتراكيين هم الذين قتلوه – أولئك الذين يحاولون أن ينقذوا جلودهم .

سينتزوف : هل تعرف – من فعل ذلك ؟

غريكوف : أكيموف .

سينتزوف : حقاً ؟ افٍ . . . ما كنت أتوقع ذلك ! فهو فتى لائق وعاقل .

غريكوف : انه ملتهب المزاج . وهو يريد أن يسلم نفسه . ان له زوجة وولداً ، وولداً آخر على الطريق . . تحدثت الى ليفشين لتوّي ، وهو يهرف طبعاً . يقول ان علينا أن نستبدل بأكيموف شخصاً آخر أقل أهمية منه .

سينتزوف : هذيان عجيب ! لكني آسف لسماع هذه الأمور ! (يسكت .) اسمع ، يا غريكوف ، عليك أن تدفن كل شيء في الأرض . . ليس ثمة مكان آخر لاخفائه .

غريكوف : وجدت مكاناً . فقد وافق عامل البرق على أخذ كل شيء . ولكن من الأفضل أن تبتعد من هنا ، يا ماتفي نيقولايفيتش .

سينتزوف : لا ، لن أذهب الى أي مكان مطلقاً .

غريكوف : سوف يعتقلونك .

سينتزوف : ليكن ! سوف يترك ذهابي انطباعاً سيئاً في العمال .

غريكوف : هذا صحيح . لكنني آسف لك .

سينتزوف : هراء ، فأكيموف هو الذي يجب أن نأسف له .

غريكوف : أجل ، وليس ما نستطيع في سبيل مساعدته . يريد أن يسلم نفسه . من المضحك أن أراك في دور حارس أملاك المعلمين .

سينتزوف (مبتسماً) : ليس من سبيل آخر . أعتقد أن رفاقي نيام ؟

غريكوف : كلا ، بل اجتمعوا كي يناقشوا الأمور . الليـــل رائع .
سينتزوف : سأكون سعيداً بمرافقتك ، ولكن لا بدّ لي من الانتظار . من الأرجح أن يعتقلوك أنت الآخر .
غريكوف : وبذلك نقضي أيام سجننا معاً . اني ذاهب .

(يخرج)

سينتزوف : وداعاً (تدخل تاتيانا .) لا تزعجي نفسك ، يـــا تاتيانا بافلوفنا . لقد رتبت كل شيء ! وداعاً .
تاتيانا : اني آسفة كل الأسف .
سينتزوف : طابت ليلتك .

(يخرج . تذرع تاتيانا أرض المسرح بخطوات خفيفة ، متفحصة بوزي حذائيها . يدخل ياكوف .)

ياكوف : لماذا لا تذهبين الى فراشك ؟
تاتيانا : لا أريد ذلك . اني أفكر في الرحيل عن هذا المكان .
ياكوف : هم — م — م . أما أنا ، فلا مكان لي أذهب اليه . لقد اجتزت سائر القارات والجزر .
تاتيانا : هذا المكان يبعث اليأس في القلب . الاشياء جميعاً تتأرجـــح وتبعث في رأسي الدوار . اني مضطرة أن أكذب ، وأنا لا أستطيع أن أطيق الكذب .
ياكوف : صحيح . أنت لا تستطيعين ان تطيقي الكذب . من سوء حظي أنا ، من سوء حظي .

تاتيانا (لنفسها) : ولكنني في هذه اللحظة بالضبط كذبت . من المؤكد أن ناديا كانت توافق على اخفاء تلك الأشياء ، ولكنني لا أملك الحق في دفعها على هذه الطريق .

ياكوف : عمَّ تتحدثين ؟

تاتيانا : لا شيء على التعيين . ما أغرب ذلك ! البارحة كان كل شيء واضحاً جليا ، وقد حسبت أني عرفت ما أريد .

ياكوف (بصوت خافت) : ان السكيرين الموهوبين ، والعاطلين الجميلين ، وسائر أعضاء المهن الفكيهة لم يعودوا يجتذبون الانتباه . اهتمَّ الناس بنا بقدر ما كنا في تضاد مع بلادة الحياة اليومية . ولكن الحياة اليومية تزداد اليوم مأسوية أكثر فأكثر . ويصيح الناس بنا : «هيْ ، أنتم أيها المهرجون والممثلون ! أخرجوا من المسرح !» ولكن المسرح ميدانك ، يا تاتيانا .

تاتيانا (بقلق) : ميداني ؟ أجل ، حسبت مرة أني اقف بثبات على المسرح ، وأني أستطيع هناك أن أبلغ ذرىً مرتفعة . (بشدة وألم .) اني أحس البؤس والخزي أمام هؤلاء الناس الذين يراقبونني بأعين باردة صامتة تلوح كأنها تقول : «اننا نعرف ذلك كله ، فهو قديم ممل .» أحس الضعف أمامهم فأنا عزلاء من كل سلاح . . . لا أستطيع أن أستولي على قلوبهم وأن أثير عواطفهم . أريد أن ارتعش فرحاً وخوفاً ، أريد أن أقول كلمات ملأى بالنار ، والهوى ، والحقد ! كلمات حادة كالسكين ، ملتهبة كالشعلة . . . لأريد

أن أصبها بسخاء واسراف أمام الناس . ألا فليشتعل المستمعون اليّ ، وليصيحوا ، ويولوا الادبار . . . لكن ليس ثمـــة مثل هذه الكلمات . وكنت أعترض سبيلهم بأن أقذفهم بكلمات أخرى ، كلمات جميلة هذه المرة ، جميلة مثل الورد ، ملأى بالرجاء ، والحب ، والفرح ! ولسوف يبكون ، وكذلك أبكي أنا . سوف أبكي بعبرات رائعة ! ولسوف يهتفون لي ، ويغرقونني بالأزهار ، ويرفعونني على أيديهم . وسوف يكونون في قبضة يدي لبرهة من الزمان ، فأحيا لبرهة من الزمن حياة نابضة . كل الحياة في تلك البرهة الوحيدة ! لكنه لا وجود لمثل تلك الكلمات الحية المتأججة .

ياكوف : اننا نعرف جميعاً كيف نعيش لبرهة واحدة فقط .

تاتيانا : أفضل الأشياء في الحياة تحدث للحظة واحدة فقط . لشدّ ما أود أن أرى الناس على صورة أخرى – أن أراهم أكثر استجابـــة ! وأن أرى الحياة على صورة أخرى – أقل عبثاً ! حياة يكون الفن فيها لا غنى عنه – للجميع وبصورة دائمـــة . كيما يكون لي في الحياة مكان . . . (يحدق ياكوف في الظلمة بعينين واسعتين .) فيمَ تشرب بمثل هذا الاسراف ؟ لقد قتلت نفسك . لقد كنت جميلاً مرة .

ياكوف : انسي ذلك .

تاتيانا : أفلا تستطيع أن تفهم كم يصعب ذلك عليّ ؟

ياكوف (بهلع) : مهما أكن سكران ، فأنا أفهم كل شيء . وهذه مصيبتي . فكري يعمل ويعمـــل بعناد ملعون .

يعمل بصورة دائمة . واني لأرى بصورة دائمة وجهاً فارغاً ، عريضاً ، غير مغسول ، ذا عينين هائلتين لا يبرحان يرددان السؤال : «والآن ؟» هذه الكلمة ليس غير : «والآن» ؟

بولينا (تدخل مسرعة) : تاتيانا ! أرجوك أن تأتي الى هنا ، يا تاتيانا . انها كليوباترا . لقد فقدت عقلها . فهي تهين كل الناس . ربما استطعت أن ترديها الى الصواب .

تاتيانا (بشقاء) : دعوني من مشاحناتكم . التهموا بعضكم بعضاً اذا شئتم ، لكن كفوا عن الارتماء تحت أقدام الآخرين .

بولينا (مرتاعة) : تاتيانا ! ماذا أصابك ؟ ما هذا الذي تقولين ؟

تاتيانا : الى مَ تسعين ؟ ماذا تريدين ؟

بولينا : أنظري اليها فقط . هذه هي قادمة .

زاخار (من خارج المسرح) : اسكتي ! أتوسل اليك !

كليوباترا (من خارج المسرح أيضاً) : أنت الذي يجب أن تسكت في حضوري !

بولينا : سوف تأخذ في الصياح هنا ، وسائر هؤلاء الفلاحين فيما حولنا . . ذلك فظيع ، يا تاتيانا . أرجوك .

زاخار (يدخل) : أخشى أني في طريق الجنون .

كليوباترا (تتبعه) : لا تستطيع فراراً مني . سوف أجبرك على الاصغاء اليّ . لقد لعبت على العمال لأنك بحاجة الى احترامهم . ألقيت اليهم حياة بشرية كما تلقي قطعة من

اللحم الى كلاب هائجـــة . أنت انساني على حساب الآخرين ، بثمن دماء الآخرين !

زاخار : ماذا تقول ؟

ياكوف (الى تاتيانا) : من الأفضل أن تخرجي . (يخرج .)

بولينا : أنظري اليّ ، يا سيدتي الرائعة . اننا قوم لائقون ، ولن نسمح لامرأة لها سمعتك أن تصيح في وجهنا . . .

زاخار (مرتاعاً) : احتفظي بهدوئك ، يا بولينـــا ، بحـــق السموات !

كليوباترا : ما الذي يجعلك تحسبين أنكم قوم لائقون ؟ لأنكم تثرثرون في قضايا السياسة ؟ في بؤس الجماهير ؟ في التقدم والانسانية ؟ أهذا هو السبب ؟

تاتيانا : كليوباترا بتروفنا ! كفي عن ذلك !

كليوباترا : أنا لا أتكلم معك . أنت لست من هذا المكان ، وليس هذا من شأنك البتـــة . كان زوجي انسانـــاً شريفاً – صريحاً وشريفا . وكانت معرفته بعامة الناس أفضل من معرفتكم بهم . وهو لم يثرثر مثلكم . ولقد خنتموه . قتلتموه ببلاهتكم الشريرة .

تاتيانا (الى بولينا وزاخار) : أخرجا ، أنت وهو !

كليوباترا : سأخرج أنا . أنت تبعثين فيّ الاشمئزاز . . . أنتم جميعاً تبعثون فيّ الاشمئزاز !

(تخرج)

زاخار : اليكم هذه المرأة المجنونة !

بولينا (تغصّ بالدموع) : يجب أن نترك كل شيء ونرحل . أن تهين الناس على هذا النحو .

زاخار : ما الذي أصابها ؟ لو أنها كانت تحبّ زوجها ، أو عاشت راضية معه ! أما أن تتخذ عاشقين على الأقل كل سنة ، ثم تروح تصيح على هذا المنوال !

بولينا : يجب أن نبيع المعمل !

زاخار (بتكدُّر) : نتركه ، نبيعه . . . ليس هذا هو المخرج . ينبغي أن نفكر في الأمور ، وأن نفكر فيها ملياً . لقد كنت أتحدث الى نيقولاي فاسيليفيتش عندما اندفعت هذه المرأة بيننا وقطعت علينا حديثنا .

بولينا : نيقولاي فاسيليفيتش يكرهنا هو الآخر . انه انسان وضيع .

زاخار (وقد تمالك نفسه) : انه غاضب ومصدوم . لكنه شخص ذكي ، ولا سبب لديه كي يكرهنا . ثمة اعتبارات عملية خالصة تربطه بنا منذ وفاة ميخائيل .

بولينا : اني خائفة منه ، ولا أثق به . لسوف يخدعك .

زاخار : هذا كله هراء ، يا بولينا . انه صاحب محاكمة ممتازة . أجل ، انه كذلك . والحقيقة أني اتخذت موقفا مبهما في علاقاتي مع العمال ؛ يجب أن أعترف بذلك . عندما تحدثت اليهم ذلك المساء – آه يا بولينا ، لا تستطيعين أن تتصوري كم كانوا ثائرين ضدنا !

بولينا : قلت لك ذلك . وهذا هو بالضبط ما قلته . سوف يكونون أعداءنا على الدوام ! (تضحك تاتيانا بصوت خافت وتغادر المكان . تنظر بولينا اليها وترفع صوتها

عمداً ، وهي تسترسل في حديثها .) الجميع أعداء لنا ! هم جميعاً يحسدوننا ، وهذا هو السبب في أنهم يقفون جميعاً ضدنا .

زاخار (يسير مسرعاً في غدوة ورواح) : أجل ، أنت على حق جزئيا بالطبع . يقول نيقولاي فاسيليفيتش : القضية ليست قضية نضال بين الطبقات ، بل قضية نضال بين العرقين – الأسود والأبيض . طبعاً ، ان في هذا القول شيئاً من القسوة . هذا تطرف ، اذا جاز التعبير . ولكن حين نتوقف كي نفكر في أننا ، نحن القوم المثقفين ، خلقنا العلم ، والفن ، وما الى ذلك ، فان المساواة – المساواة الفيزيولوجية – وَيْ . . . حسناً ، لا بأس . ولكن فليصبحوا انسانيين أولاً ، فليتحضروا وعندئذ نتحدث عن المساواة .

بولينا (في احتراس) : هذا شيء جديد عندك لم أسمعه قط منك قبلاً .

زاخار : هذا كله تقريبي بعد ، لم أتمعن فيه بصورة تامة . هذا هو الشيء الرئيسي : اعرف نفسك .

بولينا (تمسك به من ذراعه) : أنت رقيق القلب جداً ، يا عزيزي . وهذا ما يجعل الأمور على مثل هذه الصعوبة بالنسبة اليك .

زاخار : اننا نعرف الشيء القليل جداً ، وهذا هو السبب في دهشتنا المتكررة . خذي سينتزوف ذاك ، مثلاً . لقد أدهشني وأثار عطفي – هذه البساطة ! هذا التفكير

المنطقي ! ولقد تبين أنه اشتراكي ، ومن هناك يستقي منطقه وبساطته .

بولينا : آه ، بلى . انه يجتذب الانتباه بقوة . مثل ذلك الوجه الباعث على النفور ! لكنك تحتاج الى بعض الراحة ، أفلا تعتقد أنه من الأفضل أن نذهب ؟

زاخار (يتبعها) : ثم هناك عامل آخر – غريكوف . فتى صفيق . لقد كنا ، نيقولاي فاسيليفيتش وأنا ، كنا نتحدث عن خطابه لتوّنا . ليس هو أكثر من صبي . ومع ذلك يتكلم بغطرسة عظيمة . . .

(يخرجان . سكون . تسمع أغنية من خارج المسرح ، ثم أصوات خافتة . يدخل ياغودين ، وليفشين ، وريابتزوف ، وهو فتى يكثر من القاء رأسه الى الوراء ، وجهه مدور طيب السيماء . يقف ثلاثتهم تحت الأشجار .)

ليفشين (بصوت خافت وبلهجة من يقول سراً) : ذلك في سبيل القضية العامة ، يا بافل .

ريابتزوف : أعلم . . .

ليفشين : في سبيل القضية العامة ، القضية الانسانية . لكل نفس طيبة ثمن مرتفع هذه الأيام ، يا أخي . أبناء الشعب ينهضون بعقولهم . انهم يصغون ، ويقرأون ، ويفكرون . وأولئك الذين توصلوا منهم الى الفهم لا يقدّرون بثمن . . .

ياغودين : هذا صحيح ، يا بافل .
ريابتزوف : أعلم ذلك . فلا ضرورة لهذا الحديث . سوف أفعل ذلك .
ليفشين : لكن لا يجوز أن تفعله بدافع الحماسة وحدها . ينبغي أن تفهم لماذا . أنت شاب بعد ، وهذا يعني الأشغال الشاقة .
ريابتزوف : لا بأس في ذلك . سوف أهرب .
ياغودين : ربما لن يعني ذلك ، فأنت أصغر من أن يحكم عليك بالأشغال الشاقة ، يا بافل .
ليفشين : لنفكر أنه ليس كذلك . بقدر ما تزيد الأمور سوءا يكون ذلك أفضل . اذا أراد امرؤ أن يتحمل أسوأ العذاب ، فذلك يعني أنه عقد عزمه حتى النهاية .
ريابتزوف : لقد عقدت العزم .
ياغودين : لا تتسرع . فكر في الأمر ملياً . . .
ريابتزوف : فيمَ تريدني أن أفكر ملياً ؟ لقد قتل ، فلا بدّ اذن أن يتحمل شخص ما عواقب ذلك .
ليفشين : هذا صحيح . يجب أن يفعل شخص ما ذلك . واذا لم يتقدم شخص ويسلِّم نفسه ، فسوف يُدعى عدة أشخاص لتقديم الحساب عن ذلك . سوف يستدعون أفضل جماعتنا ليقدموا الحساب عن ذلك ، يا بافل ، أولئك الذين هم أعظم منك قيمة بالنسبة الى قضيتنا .
ريابتزوف : أنا لا أعترض ، أليس كذلك ؟ قد أكون شاباً ، لكنني أفهم . ينبغي لنا أن نتماسك بصورة متينة . مثل حلقات السلسلة .

ليفشين (متنهداً) : هذا صحيح .

ياغودين (مبتسماً) : سوف نضم أيدينا الى بعضها ، ونطوّقهم ، ونضيق عليهم الخناق ، وهكذا نخلص منهم !

ريابتزوف : حسناً ، لقد عقدت عزمي . ليست لي أسرة ، وهكذا فأنا الذي ينبغي لي أن أذهب . الا أنه أمر يؤسف له جداً أن ندفع ثمناً باهظاً من أجل مثل ذلك الدم الفاسد .

ليفشين : ليس من أجل ذلك الدم ، بل في سبيل مصلحة رفاقك .

ريابتزوف : أجل ، لكنني أعني أنه كان شرساً . حثالة ، تلك كانت حقيقته .

ليفشين : ولهذا السبب قُتل . الناس الطيبون يموتون ميتة طبيعية . فليس من يبتغي التخلص منهم .

ريابتزوف : حسناً ، أهذا كل شيء ؟

ياغودين : هذا كل شيء ، يا بافل . وهكذا سوف تخبرهم صباح الغداة ؟

ريابتزوف : لمَ الانتظار حتى الغداة ؟ انا قلت لكم : «عقدت عزمي !»

ليفشين : من الأفضل أن تنتظر حتى الغداة . فالليل ناصح جيِّدُ كالأم نفسها .

ريابتزوف : حسناً . هل أستطيع الذهاب الآن ؟

ليفشين : فليكن اللّه معك !

ياغودين : اذهب قدماً ، أيها الأخ ، وكن ثابتاً .

(يخرج ريابتزوف دونما عجلة . يتطلع ياغودين الى العصا التي يقلبها بين يديه . يحدق ليفشين في السماء .)

ليفشين (بصوت خافت) : يشبّ أناس رائعون كثيرون في هذه الأيام ، يا تيموفي .

ياغودين : طقس جيد ، محصول جيد .

ليفشين : يبدو أننا سنتخلّص من هذا المأزق .

ياغودين (في تعاسة) : ذلك سيئ جداً بالنسبة الى الصبي .

ليفشين (بصوت خافت) : أجل . ذلـــك سيئ جداً ، واني لأرثي له . . . يذهب الى السجن وبمثل هذه التهمة . والعزاء الوحيد أنه فعل ذلك من أجل رفاقه .

ياغودين : أجـــل .

ليفشين : لكن من الأفضل أن تمسك لسانك . تك ! تك ! ما الذي حمل أكيموف على شد ذلك الزناد ؟ أي خير في القتل ؟ لا خير على الاطلاق . أقتـــل كلباً ، فيشتري المعلم كلباً آخر ، وليس للرواية نهاية .

ياغودين (بحزن) : كم من جماعتنا يدفعون حياتهم ثمناً !

ليفشين : تعال ، أيهـــا الخفير ! ينبغي لنا أن نخفر أملاك المعلمين ! (يخرجان .) اللعنة !

ياغودين : ما بالك ؟

ليفشين : هذه الحياة القاسية ! لو كنا نستطيع فقط أن نسرع ونحقق شيئاً في هذا الشأن !

ستار

الفصل الثالث

غرفة كبيرة في دار باردين . في الجدار الخلفي أربع نوافذ وباب ينفتح على شرفة ومن خلف زجاج النوافذ يشاهد بعض الجنود ، ورجال الدرك ، وجماعة من العمال ، بينهم ليفشين وغريكوف . تلوح على الغرفة علامات عدم السكن : فالأثاث القليل يتألف من قطع غريبة بالية ، وورق الجدران ممزق ، وثمة طاولة عريضة موضوعة الى اليمين . ترتفع الستارة وكون يضع عدة مقاعد حول الطاولة غاضباً ، وأغرافينا تمسح الأرض . وثمة بابان مضاعفان عريضان في الجدارين الأيمن والأيسر .

اغرافينا : حسنا ، لا حاجة لأن تغضب مني !

كون : لست بغاضب . يمكنهم جميعاً أن يذهبوا الى الشيطان ولا أبالي . شكراً للسماء لأنني سأموت عاجلا . فقلبي ينهار منذ الآن .

أغرافينا : لسوف نموت جميعاً ، فليس ثمة مبرّر للمباهاة .

كون : لقد اكتفيتُ . . . قرفت من كل شيء . عندما تبلغين الخامسة والستين لن تتحملي قذارتهم أكثر مما تحمّلتِ . لكأنك تحاولين اذن كسر جوزة قاسية بلثّة لا أسنان فيها . . . تصوري جمع هؤلاء البشر جميعاً واغراقهم في الأمطار هناك خارجاً !

(يدخل رئيس الدرك بوبويدوف ونيقولاى من الباب الأيسر)

بوبويدوف (فرحاً) : اذن ستكون هذه قاعة المحكمة ؟ عظيم . أعتقد أنك تتصرف بصورة تتفق مع واجباتك المهنية ؟

نيقولاى : نعم . كون ، نادِ العريف !

بوبويدوف : والآن ، اليك كيف سننظم ذلك : في المركز ذلك . . . ما اسمه ؟

نيقولاى : سينتزوف .

بوبويدوف : سينتزوف . ذلك مؤثر جداً . ويحتفُ به عمال العالم المتحدون ، ها ؟ سيكون ذلك منظراً يبعث الدفء في القلب ! ان صاحب هذا المكان رجل لطيف ، لطيف جدا . كان انطباعي عنه يختلف كل الاختلاف . أنا اعرف زوجة أخيه من مسرح مدينة فورونيج . انها ممثلة بارعة . (يدخل كفاش من البوابة .) حسناً ، يا كفاش ؟

كفاش : فتشناهم جميعاً ، يا صاحب السعادة .

بوبويدوف : وماذا وجدت ؟

كفاش : لم نجد شيئاً . خبأوا كل شيء . اسمح لي أن أقول ان رئيس الشرطة كان في عجلة كبيرة من أمره بحيث لم يقم بواجبه على أكمل وجه ، يا سيادة النقيب .

بوبويدوف : كان يجب أن أتوقع هذا . فالشرطة هكذا دائماً . هل وجدت شيئاً في المنازل ؟

كفاش : وجدنا أشياء خلف الأيقونات عند ليفشين ، يا سيادة النقيب .

بوبويدوف : أحضروا كل شيء الى غرفتي .

كفاش : حاضر ، يا سيادة الرئيس . ذلـــك الدركي الشاب الذي قدم من الجيش حديثا . . .

بوبويدوف : ما شأنه أيضاً ؟

كفاش : هو الآخر لا يتقن عمله .

بوبويدوف : حسناً ، عليك الاشراف على ذلك بنفسك . هيا امض الآن . (يخرج كفاش .) يا له من مكار ، كفاش هذا . لا هو يملأ النظر ، وتلوح عليه بعض علائـــم البلاهة والغباء ، لكن له أنف كلب الصيد .

نيقولاى : أنصح لك أن توجّه عناية خاصة الى ذلك الكاتب ، يا بوغدان دينيسوفيتش .

بوبويدوف : آه ، بلى ، حقيقة . سنذيقه مرّ العلقم ، لا تخف .

نيقولاى : لا أتحدث عن سينتزوف ، بل عن بولوغي . أحسب أنه قد يكون ذا فائدة لنا .

بوبويدوف : آه ، ذلك الشاب الذى كنا نتحدث عنه ! أجل ، بالطبع . لسوف نجره الى القضية .

(يذهب نيقولاى الى الطاولة ويرتب بعض الوثائق بعناية)

كليوباترا (على الباب الأيمن) : ما رأيك بقدح من الشاى ، يا رئيس ؟

بوبويدوف : أجل ، شكراً لك ، ان كان ذلك لا يزعجـــك كثيراً . هذه المنطقة جميلة . بقعة لطيفة . ولقد تبين

أني أعرف السيدة لوغوفايا . أفلم تك تمثل على مسرح فورونيج ؟

كليوباترا : أعتقد ذلك . أعثرت على شيء عندما قمت بعملية التفتيش ؟

بوبويدوف (في لطف) : كل شيء . عثرنا على كل شيء . لا تقلقي ، في استطاعتك التأكد من أننا سنعثر على كل شيء دائماً . حتى ان لم يكن هناك ما يمكن العثور عليه .

كليوباترا : ما كان المرحوم زوجي ينظر الى هذه المنشورات في جدّ . وكان يقول دائماً ان الأوراق لا تصنع ثورة .

بوبويدوف : هِمْ . مما لا ريب فيه أن هذا ليس بصحيح تماماً .

كليوباترا : وكان يقول ان المنشورات هي أوامر سرية مرسلة من أناس حمقى الى أناس اغبياء .

بوبويدوف : يا للذكاء – ومع ذلك فهو غير صحيح .

كليوباترا : وترى الآن أنهم تقدموا من توزيع المنشورات الى مباشرة العمل .

بوبويدوف : يمكن ان تتأكدى من أنهم سيعاقبون بشدة – بشدة قصوى .

كليوباترا : تلك تعزية عظيمة . لقد شعرت بالراحة منذ قدومك .

بوبويدوف : من صلب عملنا أن نرفع معنويات الناس .

كليوباترا : لا أستطيع أن أعبر لك عن السرور الذى يغمر

المرء عندما يجد شخصاً نجيعاً كفؤاً . مثل هؤلاء الاشخاص امسوا قلّة هذه الأيام .

بوبويدوف : أواهِ ، الجميع أكفاء في فصائل الدرك عندنا .

كليوباترا : فلنمضِ الى الطاولة .

بوبويدوف (متحركاً) : بكل سرور ! هِم ، لعلك تستطعين اخباري أين تمثل السيدة لوغوفايا في هذا الموسم ؟

كليوباترا : آسفة . انا لا ادري .

(تدخل تاتيانا ونادیا من جهة الشرفة)

ناديا (مضطربة) : أرأيت كيف كان ذلك العجوز ليفشين ينظر الينا ؟

تاتيانا : نعم .

ناديا : كم تبدو كل هذه الاشياء غير لائقة ومخجلة ، بصورة فظيعة ! لماذا تفعل ذلك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟ ولم اعتقل هؤلاء الناس ؟

نيقولاي (بجفوة) : ثمة أسباب أكثر من كافية تدعوني الى اعتقالهم . ويجب أن أطلب اليك الا تستعملي الشرفة ما دام هؤلاء . . .

ناديا : أوه ، لن نفعل .

تاتيانا (ترنو الى نيقولاي) : وهل اعتقل سينتزوف أيضاً ؟

نيقولاي : لقد اعتقل السيد سينتزوف أيضاً .

ناديا (تراوح في الغرفة وتغادي) : سبعة عشر شخصاً ! وزوجاتهم واقفات عند البوابات يبكين ويذرفن

العبرات . . والجنود يطردونهنّ ويهزؤون بهنّ . قل للجنود ان عليهم على الأقل أن يتصرفوا بصورة لائقة .

نيقولاي : ليس هذا من شأني . الملازم ستريبيتوف مسؤول عن الجنود .

ناديا : سأذهب وأسأله ذلك .

(تخرج من باب اليمين . تاتيانا تبتسم وتقترب من الطاولة .)

تاتيانا : أصغ ، يا مقبرة القوانين ، كما يدعوك الجنرال . .

نيقولاي : لا أجد الجنرال على قدر كافٍ من الذكاء . ولا أحب ترديد نكاته .

تاتيانا : أوه ، لا ، لقــد أخطأتُ . نعش القوانين – هكذا يسميك . ألا تحب ذلك ؟

نيقولاي : لست في حال تسمح لي بالمزاح .

تاتيانا : أتريدني أن أعتقد أنك انسان جدّي ؟

نيقولاي : فلأذكرك أنهم قتلوا أخي نهار البارحة .

تاتيانا : وماذا يعني ذلك بالنسبة اليك ؟

نيقولاي : أستميحك عذراً ، انما . . .

تاتيانا (مبتسمة) : كفاك ادعاء ، فلست بآسف على أخيك . وانت لم تحسّ الأسف على انسان أبداً . مثلي أنا ، على سبيل المثال . الموت ، أقصد المــوت الفجائــي ، صدمة دائماً . لكن اسمح لي أن أؤكد لك أنك لـم تحسّ لحظة واحدة أسفاً صادقاً ، انسانياً ، على أخيك . فهذا ليس من خصالك .

نيقولاي (متضايقاً) : هذا يبعث على الاهتمام . ماذا تريدين مني ؟

تاتيانا : افلم تلحظ انني واياك روحان متقاربتان ؟ كلا ؟ هذا مؤسف ! أنا ممثلة – مخلوقة باردة جامدة العواطف ، تتملكني رغبة وحيدة – أن أمثّل دوراً جيداً . وأنت ايضاً قاسي القلب ، تواق مثلي الى دور جيد . اخبرني صراحة ، أتريد حقاً أن تكون مدعياً عاماً ؟

نيقولاي (بصوت خافت) : أريد أن تكفي عن هذا .

تاتيانا (ضاحكة بعد فترة صمت قصيرة) : انني دبلوماسية رديئة . جئت اليك على نية أن . . . أقصد أني نويت أن أكون لطيفة وفاتنة ، لكني لم أكد ألمحك حتى شرعت اهينك . فأنت تحفزني دائماً الى الرغبة في ايذائك . أكنت تتنزه أم كنت تستريح ، أكنت تتحدث أم تصدر الأحكام على الناس في صمت . سوى أني أريد سؤالك . . .

نيقولاي (مطلقاً ضحكة قصيرة) : في امكاني تخمين ذلك .

تاتيانا : ربما ! لكني اعتقد انني تاخرت كثيراً ؟

نيقولاي : سيكون الأوان قد فات في أي وقت . فالسيد سينتزوف متورط جداً .

تاتيانا : اعتقد انه يرضيك ان تخبرني بهذا ، أليس كذلك ؟

نيقولاي : لا اكتم ذلك .

تاتيانا (متنهدة) : هذا يبين بالضبط مبلغ الشبه الذي بيننا . فانا ايضاً حقيرة وضيعة . قل لي – هل

سينتزوف واقع في قبضتك بصورة تامة ، أعني في قبضتك «أنت» على الخصوص ؟

نيقولاي : طبعاً .

تاتيانا : واذا سألتك اطلاق سراحه ؟

نيقولاي : لا تستفيدين شيئاً .

تاتيانا : حتى اذا سألتك ذلك بلهفة عظيمة ؟

نيقولاي : ذلك لا يغيّر شيئاً . . أنت تدهشينني .

تاتيانا : حقاً ؟ لماذا ؟

نيقولاي : أنت امرأة جميلة ذات فكر أصيل من دون ريب . أنت شخصية . وثمة فرص عديدة أمامك لتعيشي حياة رخصة مترفة . . . ومع ذلك تهتمين بهذا اللاشيء . ان الشذوذ مرض ، وكل رجل مهذب ينتابه الغيظ من جراء تصرّفك . . . وليس من يغفر لك هذا ممّن يعجبون بالنساء ويقدّرون الجمال .

تاتيانا (تنظر اليه بفضول) : اذن ، هذا حكمك عليّ ! واأسفاه ! وسينتزوف ؟

نيقولاي : سيذهب ذلك الجنتلمان الى السجن هذه الليلة .

تاتيانا : أذلك نهائي ؟

نيقولاي : أجل .

تاتيانا : دون أية تنازلات اكراماً لسيدة ؟ لا أصدق هذا . فاذا أنا رغبت في ذلك بشدة ، فسوف تطلق سراح سينتزوف .

نيقولاي (بصوت أجش) : حاولي أن ترغبي فيه بشدة — بشدة عظيمة .

تاتيانا : لا أستطيع . ولا أعرف كيف . لكن ، أصدقني – ولن يصعب عليك كثيرا أن تصدقني الحقيقة مرة في حياتك – هل ستفرج عنه ؟

نيقولاي (بعد صمت قصير) : لست أدري .

تاتيانا : أنا أدرى ! (صمت ، زفرة حرّى) يا لنـــــا مــن وضيعين !

نيقولاي : ثمة أشياء لا تغتفر حتى في امرأة .

تاتيانا (في غير مبالاة) : أوه ، ماذا في ذلك ؟ نحن وحيدان . وليس من يسمعنا . ولي الحق أن أخبرك وأخبر نفسي أننا كلينا . . .

نيقولاي : أرجوك . لا أريد أن أسمع مزيدا .

تاتيانا (في هدوء واصرار) : وتظل الحقيقة أنك تضع لمبادئك ثمناً أرخص من ثمن قبلة من امرأة .

نيقولاي : قلت لك من قبل اني لا أبالي بالاستماع اليك .

تاتيانا (في هدوء) : أخرج من هنا اذن . أنا واثقة أنني لــن أستبقيك .

(يخرج بسرعة . تاتيانا تلفُّ نفسها بوشاحها ، وتقـــف في وسط الغرفة وترنو الى الشرفة . تدخل ناديا والملازم مـــن جهة اليمين)

الملازم : أقسم لك ان الجندي لا يمكن أن يهين امرأة قط . فالمرأة مقدسة بالنسبة اليه .

ناديا : حسنا ، سترى .

الملازم : هذا مستحيل . . فالموقف الفروسي من المرأة لم يحتفظ به سوى الجيش وحده .

(يعبران حتى الباب الأيسر . تدخل بولينا ، زاخار ، وياكوف .)

زاخار : أنت ترى ، يا ياكوف . . .
بولينا : لكن كيف يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك ؟
زاخار : يجب ان نواجه الواقع ، فالحاجة ماسة .
تاتيانا : عمَّ تتحدثان ؟
ياكوف : انه ينشد لي مرثاة .
بولينا : أن يعدم الشعور على هذه الصورة المدهشة ! الجميع يلوموننا ، حتى ياكوف ايفانوفيتش ، ذلك الحليم الوديع أبداً . . وكأنها خطيئتنا إنْ جاء الجنود ! ولم يدع أحد الدرك أيضاً . انهم يجيئون دائماً من تلقاء أنفسهم .
زاخار : ويلومونني على هذه الاعتقالات !
ياكوف : أنا لا ألومك .
زاخار : لم تلمني مباشرة ، ولكني اشعر . . .
ياكوف (الى تاتيانا) : كنت جالساً هنالك عندما قدم وقال : «حسناً ، يا أخي ؟» فأجبته : «فسدت الأمور ، يا أخي» . وهذا كل شيء .
زاخار : أفليس في وسعك أن تفهم أن التبشير بالاشتراكية على النحو الذي تُقدَّم به ههنا مستحيل في اي مكان آخر ؟ ذلك لا يمكن أن يحدث أبداً !

بولينا : يمكن للناس جميعاً ان يهتموا بالسياسة وهذا أمر ضروري ، لكن ما دخل الاشتراكية بالسياسة ؟ هذا ما يقوله زاخار ، وانه لعلى حق .

ياكوف (مكتئباً) : أي صنف من الاشتراكيين هو العجوز ليفشين ؟ انه يهذي من العمل الشاق ليس غير ، من الانهاك المحض .

زاخار : جميعهم يهذون .

بولينا : يجب أن يكون في قلوبكم شيء من رحمة ، أيها السادة . فلقد قاسينا كثيراً .

زاخار : أتعتقدون أني لا أبالي لأنهم حولوا داري الى محكمة ؟ وذلك كله من صنع نيقولاي فاسيليفيتش ، ولكنكم لا تستطيعون مناقشته بعد مثل هذه المأساة .

كليوباترا (تدخل بسرعة) : أسمعتم ؟ لقد وجدوا القاتل . وهم يسوقونه الى هنا .

ياكوف (متمتماً) : آه ، بحقّ الاله . . .

تاتيانا : من هو ؟

كليوباترا : غلام . وأنا مسرورة . قد لا يكون ذلك انسانياً ، لكنني مسرورة . وحتى اذا تبيّن انه صبي صغير ، فسوف أجعلهم يجلدونه كل يوم حتى المحاكمة . . . أين نيقولاي فاسيليفيتش ؟ أرأيتموه ؟ (تمضي الى الباب الأيسر ، وهنالك تلتقي بالجنرال .)

الجنرال (متجهماً) : هؤلاء أنتم هنا ، متحلقون مثل عصبة من الدجاج المبتل .

زاخار : ذلك مزعج جداً ، يا عماه .

الجنرال : الدرك ؟ نعم ، ذلك النقيب شاب وقح . وبودي أن أهزأ به . أهم يقضون الليل هنا ؟

بولينا : لا أظن ذلك . ولم يفعلون ؟

الجنرال : يا للأسف ! لو كانوا باقين هنا ، لأحببتُ رؤيته وقد انهال سطل من الماء البارد عليه عندما يزحف الى سريره . هكذا كنت أعامل الضباط الخائرين في فيلقي . ليس أبعث على السخرية من رؤية رجل مبلّل عريان يدبُّ ويخبّ ويصيح .

كليوباترا (تقف قرب الباب) : لماذا بربك تتحدث هكذا ، يا جنرال ! ان النقيب رجل محترم ونشيط كل النشاط . ولم يكد يصل حتى قبض على كل المجرمين . يجب أن نقدّر ذلك حق قدرة . (تخرج)

الجنرال : ِهمْ . . . كل رجل طويل الشاربين هو رجل محترم بالنسبة اليها . لكن ينبغي للناس أن يعرفوا أماكنهم . هذه هي القضية . هذا هو سر الاحترام . (يخطو صوب الباب الأيسر .) كون !

بولينا (في صوت خافت) : يخيل الى المرء أنها المسؤولة عن جميع الأمور هنا . أنظروا فقط كيف تتصرف ! بكل هذه الجفوة وقلة الأدب !

زاخار : لو أنهم يسرعون وينهون الأمر ! لشدّ ما أتوق الى السلام والهدوء !

ناديا (تدخل راكضة) : أيتها العمة تاتيانا ، ذلك الملازم غبيّ تماماً ! أعتقد أنه يضرب جنوده . . . للّه كيف راح يدور ويزعق ويكشر . يجب أن يسمحوا للموقوفين

برؤية زوجاتهم ، يا زاخار ايفانوفيتش . ان خمسة من أولئك الرجال متزوجون . فاخرج وقل لذلك الدركي . . . انه هو المكلّف بالأمر .

زاخار : لكن أنت ترين ، يا ناديا . . .

ناديا : أرى أنك لا تتحرك . هيا اذهب . أخرج ، أخرج واخبره . هنّ يبكين . هيا ، أقول لك أخرج .

زاخار (وهو خارج) : أخشى ألاّ يفيد ذلك شيئاً .

بولينا : أنت تزعجين الجميع على الدوام ، يا ناديا .

ناديا : بل أنتم الذين تزعجون الجميع دائماً .

بولينا : نحن ؟ فكري فقط فيما . . .

ناديا (مهتاجة) : أجل ، نحن ، نحن جميعاً – أنت وأنا وزاخار ايفانوفيتش . نحن الذين لا نبرح نزعج الناس . نحن لا نفعل شيئاً ، ولكن هؤلاء الجنود والدرك جاؤوا بسببنا ، وهذه القضية كلها بدأت بسببنا أيضاً . وقد أُوقف أولئك الناس ، والنساء يذرفن العبرات . وكل ذلك بسببنا نحن !

تاتيانا : تعالي هنا ، يا ناديا .

ناديا (تسير نحوها) : حسنا ، ها أنا ذي . ماذا تريدين ؟

تاتيانا : اجلسي وهدئي من روعك . أنت لا تفهمين شيئاً ، وليس ما تستطيعين القيام به . .

ناديا : أترين ، ليس لديك حتى ما تقولين . وأنا لا أريد أن أهدئ من روعي . لست أريد ذلك .

بولينا : كانت أمك المرحومة على حق يوم قالت انك فتاة عنيدة صعبة المراس .

ناديا : أجل ، كانت على حق . كانت تكسب الخبـــز الذي تأكله . أما انتم – ماذا تفعلون ؟ وخبز من تأكلون ؟

بولينا : هذي هي تثرثر ثانية ! يجب أن أطلب اليك تغيير لهجتك ، يا ناديا . كيف تجرئين على الصياح في وجـه مَنْ يكبرك سناً ؟

ناديا : أنتم لا تكبرونني سناً . أنتم شيوخ فقط . وهذا كـل شيء .

بولينا : تاتيانا ، كل هذا من تأثيرك ، وينبغـي لـك أن تخبريها أنها فتاة صغيرة غبية ليس غير .

تاتيانا : أسمعتِ ؟ أنت فتاة صغيرة غبية . (تربت عـــلى كتفها .)

ناديا : أليس ثمة ما تقولون غير هذا ؟ لا شيء ! انتم لا تستطيعون حتى الدفاع عن أنفسكم . . . يـــا لهؤلاء الناس ! ماذا تستطيعون أن تفعلوا ؟ لا شيء . انتم ، في الحقيقة ، لا تصلحون لشيء ، حتى ولا هنا في بيتكم الخاص . بكل بساطة ، لا تصلحون لشيء .

بولينا (في حدة) : أو تفهمين ما يثرثر به لسانك ؟

ناديا : هؤلاء الناس جميعاً جاؤوا الى هنا – درك ، جنود ، حمقى ذوو شوارب طويلة ، وكل ما يفعلون هو اصدار الأوامر ، وشرب الشاي ، والقرقعة بسيوفهم ، والقعقعة بمهاميزهـــم ، والتجوّل ضاحكين مكشرين عـــن أنيابهم . . . يقبضون على الناس ، ويزعقـــون في وجوههم ، ويهددونهـــم ، ويجعلون النساء يذرفـــن

العبرات . وأنتم ؟ ما نفعكم ههنا ؟ لقد رموا بكم في احدى الزوايا . . .

بولينا : أنت تنطقين بالهراء ! هؤلاء الناس جاؤوا لحمايتنا .

ناديا (بمرارة) : آه ، أيتها الخالة بولينا ! ليس في قدرة الجنود حماية أي شخص من الغباء ! هذا في الحقيقة ليس فى قدرتهم .

بولينا (ساخطة) : ما . . . ذا ؟

ناديا (تمدّ ذراعيها نحوها) : لا تغضبي . أني أقصد الجميع . (تخرج بولينا مهرولة) يا الهي ، لقد هربت . ستخبر زاخار ايفانوفيتش أني فظة غير طيّعة ، وسوف يوبخني طويلاً حتى ان الذباب يتساقط ميتاً من الضجر .

تاتيانا (متفكرة) : لست أتصور كيف ستتابعين الحياة في هذا العالم !

ناديا (تومئ بذراعيها ايماءة عريضة) : لن أعيش هكذا ! لن أعيش هكذا بأي ثمن ! ولا أدري ماذا أنا فاعلة . . . لكنني لن أفعل شيئاً كما تفعلونه أنتم . لقد عبرت الشرفة منذ فترة مع ذلك الضابط ، فرأيت غريكوف يراقبنا ، يدخن وعيناه تضحكان . ومع ذلك فهو يعرف أنهم سيرسلون به الى السجن . أفلا ترين ؟ أولئك الذين يعيشون حسبما يريدون أن يعيشوا لا يخافون شيئاً . وهم على الدوام مغتبطون مرحون . واني لأخجل من النظر الى ليفشين وغريكوف ! لست أعرف الآخرين ،

أما هذان . . . لن أنساهما أبداً . آه ، ها قد أقبل الأحمق ذو الشاربين . أَو — و — وه !

بوبويدوف (داخلاً) : ما أرهب ذلك ! منْ ذلك الذي تحاولين اخافته ؟

ناديا : اني خائفة منك . أفلن تسمح للنساء بالذهاب الى أزواجهن ؟

بوبويدوف : كلا ، لن أسمح . فأنا وغد نذل !

ناديا : لا ريب في هذا ، ما دمت من الدرك . ولمَ لا تسمح للنساء بالذهاب الى أزواجهن ؟

بوبويدوف (في أدب) : هذا مستحيل في الوقت الحاضر . فيما بعد ، عندما يساق الرجال سأسمح لهم بتوديعهن .

ناديا : ولكن ، لمَ ذلك مستحيل ؟ ذلك كله يتوقف عليك ، أليس كذلك ؟

بوبويدوف : لا عليّ . . بل على القانون .

ناديا : أوه ، وما شأن القانون بهذا ؟ اسمح لهن بذلك ، أرجوك .

بوبويدوف : ماذا تعنين بقولك — ما شأن القانون بهذا ؟ أتتحدين القانون ، أنت أيضاً ؟ هيا ، هيا !

ناديا : لا تخاطبني بمثل هذه اللهجة . فلست طفلة صغيرة .

بوبويدوف : ألست طفلة الآن ؟ الأطفال والثوار وحدهم يتحدون القانون .

ناديا : اذن ، أنا ثورية .

بوبويدوف (ضاحكاً) : أوهو ! اذن من واجبي أن أزجّ بك في السجن . أعتقلك وأرمي بك في السجن !

ناديا (بشقاء) : لا تجعل من ذلك هزلاً . اسمح لهن بالدخول .

بوبويدوف : هذا ما لا أستطيع . انه القانون .

ناديا : القانون الأحمق .

بوبويدوف (جاداً) : همْ . . . ينبغي ألا تقولي هذا . اذا لم تكوني طفلة كما تزعمين ، فعليك أن تفهمي أن القوانين يصوغها أولئك الذين يملكون زمام السلطة ، وبدونها لا يمكن أن تكون دولة .

ناديا (في حرارة) : قوانين ، سلطة ، دولة ! لكن قل لي بربك ، أفلم تخلق هذه الأشياء من أجل الشعب ؟

بوبويدوف : همْ . . . طبعاً . يعني من أجل النظام في المحل الأول .

ناديا : اذن ، فهذا النظام سيئ ، اذا كان يبكي الناس . لسنا في حاجة الى سلطتكم والدولة اذا كانا يُبكيان الناس ! الدولة ! يا للحماقة ! ماذا أبغي منها ؟ (تتجه صوب الباب .) الدولة ! فيم يدس الناس في أمور لا يفهمون منها شيئاً ؟ (تخرج . يرتبك بوبويدوف نوعاً ما)

بوبويدوف (الى تاتيانا) : فتاة أصيلة العقلية ، لكن ذات انحرافات خطيرة في التفكير . . . يبدو أن زوج خالتها ذو آراء حرة . ألست مصيباً ؟

تاتيانا : ينبغي أن تعرف ذلك أفضل مني . فأنا لا أعرف المقصود من الآراء الحرة .

بوبويدوف : ماذا تعنين ؟ الجميع يعرفون هذا . ازدراء

أصحاب السلطة – تلك هي الليبرالية . لكن لنغيرنّ الموضوع . شاهدتك في فورونيج ، يا سيدة لوغوفايا . نعم ، من دون شك ، ولقد سُحرت بتمثيلك المُعجز . تمثيل رائع ، وربي ! ولعلك لاحظت وجودي – فأنا أجلس دائماً الى جانب نائب الحاكم . كنت في ذلك الوقت ياوراً في الادارة المحلية !

تاتيانا : لا ، لا أذكر ذلك . ان الدرك موجودون في كل مدينة ، فيما أعتقد .

بوبويدوف : آه ، نعم ، صحيح . في كل مدينة بدون استثناء ! واسمحي لي أن أخبرك أننا ، نحن أناس الادارة المحلية ، المحبون الصادقون للفن . حسناً ، لربما التجار أيضاً . خذي مثلاً على ذلك التبرعات لابتياع هدية لممثلة مشهورة بمناسبة تمثيلها في حفلة خاصة بها . لسوف تجدين أسماء جميع ضباط الدرك في كل لائحة . وهذا تقليد مرعي الاجراء بيننا ، اذا صح التعبير . هل لي أن أسأل أين تنوين التمثيل في الموسم القادم ؟

تاتيانا : لم أقرر بعد . وطبيعي أن ذلك سيكون في مدينة تضمّ محبين صادقين للفن . هذا ما لا يمكن اجتنابه ، فيما أعتقد ؟

بوبويدوف (دون أن يفهم ما عنته) : آه ، طبعاً . ستجدينهم في كل مدينة . وعلى أى حال ، فالناس يزدادون ثقافة .

كفاش (من على الشرفة) : انهم يحضرون ذلك الفتى ، يا سيدى ، ذلك الذي أطلق النار ! أين تريده ؟

بوبويدوف : هنا . . . جيئوا بالجميع الى هنا . نادِ مساعد المدّعي العام . (الى تاتيانا) أستميحك عذراً ، يجب أن ألتفت الى عملي فترة من الوقت .

تاتيانا : هل ستستجوبهم ؟

بوبويدوف (في أدب) : فترة من الوقت . بشكل سطحـــــي تماماً — لأتعرف اليهم فقط . . . تلاوة أسمائهم ليس غير ، اذا صح التعبير .

تاتيانا : هل أستطيع الحضور ؟

بوبويدوف : هِمْ . هذا ليس مألوفاً على العموم . ليس في القضايا السياسية . لكن ما دامت القضية جنائية ، وما دمنا لسنا في دوائرنا الخاصة ، فيسرّني أن أحقق لك هذه الرغبة . . .

تاتيانا : لن يراني أحد . سأراقب القضية من هنالك .

بوبويدوف : رائع ! أنا سعيد جداً لاستطاعتي أن أردّ لك بعض السرور الذي أعطانيه تمثيلك . عليّ أن أذهب الآن لاحضار بعض الأوراق الهامة . (يخرج . يدخل من الشرفة عامـــلان كهـلان يقودان ريابتزوف كلٌ مـن ذراع . يسير كون الى جانبهم ، وهو يختطـف نظرات مسترقة الى وجه السجين . يسير خلفهم كل من ليفشين وياغودين وغريكوف وبعض العمال والدرك .)

ريابتزوف (غاضباً) : لماذا أوثقتم يديّ ؟ حلوا وثاقـي ! هيا !

ليفشين : حلوا وثاق يديه ، يا فتيان . لماذا تذلونه ؟

ياغودين : لن يهرب .

أحد العمال : يجب أن نفعل ذلك . فالقانون يأمر بأن نشدّ وثاقه .

ريابتزوف : لن أقبل بذلك ! حلوا وثاقي !

عامل آخر (الى كفاش) : أنفعل ذلك ، يا سيـــدى ؟ فالفتى هادئ ساكن . لا نستطيع أن نصدق أنه قد يكون ذلك الذي . . .

كفاش : حسناً . حلوا وثاقه .

كون (فجأة) : لقد قبضتم على شخص آخر ! كان هذا الفتى عند النهر حين اطلاق النار . لقد رأيته ، وكذلك رآه الجنرال ! (الى ريابتزوف) تكلم ، أيها الأحمق ! هيا ، قل لهم انك لست من فعل ذلك . فيم سكوتك ؟

ريابتزوف (في حدة) : أنا أطلقت النار .

ليفشين : أعتقد أنه يعرف أكثر منك ، أيها الجندي . . .

ريابتزوف : أنا هو !

كون (صائحاً) : أنت تكذب ! أنت تنوى الاخلال بالأمن ! (يدخل بوبويدوف ونيقولاي سكروبوتوف .) لقد كنت تجذف على صفحة الماء وتغني ساعة حدث هذا . . . أتستطيع أن تنكر ذلك ؟

ريابتزوف (في هدوء) : كان هذا فيما بعد .

بوبويدوف : أهذا هو ؟

كفاش : نعم ، يا سيادة النقيب .

كون : كلا ، ليس هو .

بوبويدوف : ماذا ؟ كفاش ، أخرج هذا العجوز . كيف دخل هذا العجوز الى هنا ؟

كفاش : انه وصيف الجنرال ، يا سيادة النقيب .

نيقولاي (متفحصاً ريابتزوف) : لحظة واحدة ، يا بوغدان دينيسوفيتش . دعه وشأنه ، يا كفاش .

كون : أرفع يديك عني . فأنا جندي أيضاً .

بوبويدوف : لا بأس ، يا كفاش !

نيقولاي (الى ريابتزوف) : أأنت الذي قتلت المعلم ؟

ريابتزوف : نعم أنا .

نيقولاي : ولِمَ فعلت ذلك ؟

ريابتزوف : كان يعاملنا بقسوة .

نيقولاي : ما اسمك ؟

ريابتزوف : بافل ريابتزوف .

نيقولاي : آه . . . ماذا كنت تقول ، يا كون ؟

كون (شديد الاضطراب) : لم يقتله ! كان على النهر حينما حدث ذلك ! . . وأنا على استعداد لأن أقسم على هذا . الجنرال وأنا رأيناه . بل لقد قال الجنرال : «أفلن يكون طريفاً أن نقلب مركبه ونجعله يغطس في الماء ؟» . . . هذا ما قال . أتسمعني ، أنت أيها المخاتل ؟ ترى ، ما الذي تطبخه ؟

نيقولاي : ما الذي يجعلك على مثل هذا اليقين من أنه كان على صفحة النهر حينما حدثت الجريمة ، يا كون ؟

كون : لا بدّ من مسيرة ساعة من المصنع حتى المكان حيث كان .

ريابتزوف : لقد ركضت .

كون : كان يجذف في قارب ويغني . أنت لا تطلق عقيرتك بالغناء عندما تكون قتلت انساناً لتوّك .

نيقولاي (الى ريابتزوف) : أتدرك أن القانون صارم جداً بحق الذين يدلون بمعلومات كاذبة ويحاولون اخفاء معالم الجريمة ؟ . . أتدرك هذا ؟

ريابتزوف : لست أبالي .

نيقولاي : حسناً . اذن ، فأنت الذي قتلتَ المدير ؟

ريابتزوف : نعم ، أنا .

بوبويدوف : الوحش !

كون : انه يكذب !

ليفشين : أنت لستَ من هنا ، أيها الجندي !

نيقولاي : ماذا ؟

ليفشين : أقول انه ليس من هنا ، ويظلّ يتدخل . . .

نيقولاي : وما الذي يجعلك تظن أنك من هنا ؟ لعلّ لك في الجريمة ضلعاً ؟

ليفشين (ضاحكاً) : أنا ؟ قتلت مرة أرنباً بعصاي ، فكنت أتعذب كثيراً .

نيقولاي : إذن احتفظ بفمك مقفولاً . (الى ريابتزوف) أين المسدس الذي استعملتَ ؟

ريابتزوف : لست أدري .

نيقولاي : ما نوعه ؟ صفه لنا .

ريابتزوف (متضايقاً) : مانوعه ؟ النوع العادي .

كون (متهللاً) : يا للفاجر ! لم يرَ قط مسدساً في حياته !

نيقولاي : وما حجمه ؟ (يصنـــع اشارة تبلغ نصف ذراع بيديه .) أبهذا الطول ؟

ريابتزوف : نعم . . . أوه ، لا ، أصغر .

نيقولاي : لحظـة واحدة ، يـــا بوغدان دينيسوفيتش . . . (ينتحي بوبويدوف زاوية ويخفض صوته) ان في هذه القضية خديعة . يجب أن نكون أشد قسوة مـع هذا الفتى . فلنتركه وحيداً حتى يجيء مفتّش المباحث .

بوبويدوف : ولم نفعل ذلك ؟ . . لقد اعترف بكل شيء .

نيقولاي (بصورة ذات مغزى) : أنت وأنا نشتبه أن هذا الفتى ليس هو القاتل ، بل مجرد قناع يخفي المجرم الحقيقي ، هل تفهم ؟

(يدخل ياكوف باحتراس سكران حتى الثمالة ، ويقف قريباً من تاتيانا صامتاً يتطلع حواليه . ومن حين لآخر يسقط رأسه على صدره وكأنه يغفو ، ومن ثم ينفضه الى الخلف ويروح يرنو حواليه وقد ارتسمت على وجهه نظرة رعب)

بوبويدوف (دون أن يفهم) : آه — ه — ه . . . . هِمْ —مْ . أجل ، أجل . تصوّر ذلك !

نيقولاي : تلك مؤامرة ! جريمة جماعية .

بوبويدوف : يا للوغد !

نيقولاي : فليأخذه العريف الآن ويحرص على الاحتفاظ به في حبس انفرادي ضيّق . سأخرج لحظة . تعال معــي ، يا كون . أين الجنرال ؟

كون : انه يحفر التراب بحثاً عن دودة صيد السمك .

(يخرجان)

بوبويدوف : كفاش ، خذ هذا الفتى من هنا ، وراقبه ! راقبه جيداً ، هيا !
كفاش : حاضر ، يا سيادة النقيب . تعال ، يا فتى !
ليفشين (بتأثر) : وداعاً ، يا بافل . وداعاً ، يا صديقي . . .
ياغودين (متجهماً) : وداعاً ، يا بافل .
ريابتزوف : وداعاً . لا بأس .

(يخرجون ريابتزوف)

بوبويدوف (الى ليفشين) : أتعرفه ، أيها العجوز ؟
ليفشين : طبعاً أعرفه . فنحن نعمل معاً .
بوبويدوف : ما اسمك ؟
ليفشين : ييفيم ييفيموفيتش ليفشين .
بوبويدوف (في صوت خفيض الى تاتيانا) : هلا راقبت التطوّرات الآن . (الى ليفشين) قل لي الحقيقة ، يا ليفشين ، فأنت رجل عجوز عاقل . يجب عليك ، دائماً ، ان تقول الحقيقة لرؤسائك .
ليفشين : أجل ، من دون ريب . وفِيمَ أكذب ؟
بوبويدوف (في نشوة) : هذا حسن . والآن ، أصدقني

القول ، ماذا تخبئ خلف الأيقونات في بيتك ، ايـه ؟ الحقيقة ، تذكّر !

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أهذه هي الحقيقة ؟

ليفشين : نعم ، هذه هي .

بوبويدوف : ألا تخجل ، يا ليفشين ! ها أنت ذا ، أصلع شائب ، ومع ذلك تكذب مثل طفل صغير . ان رؤساءك يعرفون ليس أفعالك فقط ، بل وأفكارك ايضاً . هذا مخز ، يا ليفشين . ما هذه الأشياء التي في يدي ؟

ليفشين : لا أستطيع الرؤية . نظري ضعيف .

بوبويدوف : سأقول لك ما هي . انها كتب منعتها حكومتنا ، كتب تحرّض الناس على الثورة ضد القيصر . وقد وجدت هذه الكتب خلف الأيقونات في بيتك ! والآن ، ما قولك ؟

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أتعترف أنها تخصّك ؟

ليفشين : من المحتمل أنها تخصني . فالكتب جميعاً متشابهة .

بوبويدوف : لماذا تكذب في شيخوختك ؟

ليفشين : لقد أخبرتك بالحقيقة الصريحة ، يا صاحب السعادة ، سألتني عما يوجد خلف الأيقونات في بيتي ، ولما سألتني مثل هذا السؤال عرفتُ أنه لا يمكن أن يكون شيء خلف الأيقونات لأنكم أخذتموه . وهذا ما قلتُ أنا – لا شيء . لم تجرب أن تخجلني ؟ أنا لم أصنع شيئاً أخجل منه .

بوبويدوف (مرتبكاً) : هكذا تأخذ الأمور اذن ! انما ينبغي أن أطلـب اليـك أن تقتصد في الحديث . . فلست رجلاً يتحامق الناس عليه . من أعطاك هذه الكتب ؟

ليفشين : لِمَ تريد أن تعرف ذلك ؟ ليس في وسعي اخبارك ، لأنني في الواقع نسيت من أين حصلت عليها . فـلا تقلق لمثل هذا الشيء التافه .

بوبويدوف : ماذا ؟ حسناً جداً ! ألكسي غريكوف ! من منكم غريكوف ؟

غريكوف : أنا .

بوبويدوف : هل سبق أن رفعت القضية بحقك في سمولنسك بخصوص نشر الدعاية الثورية بين العمال ؟

غريكوف : نعم ، هذا صحيح .

بوبويدوف : مثل هذا الفتى الصغير السن ، ويتمتع بمثل هذا الذكاء ! يسعدني جداً أن أتعرف اليك . . أيها الدرك ، خذوا هؤلاء القوم حتى الشرفة خارجاً ! فالجو يصبـح خانقاً هنا . ياكوف فيريبابيف ؟ حسناً . . . اندريه سفيستوف ؟

(الدرك يقودون الجميـع حتى الشرفـة ، يتبعهم بوبويدوف والقائمة في يده)

ياكوف (في لطف) : أحب هؤلاء الناس .

تاتيانا : أفهم ذلك ، ولكن لِمَ كل شيء فيهم على مثل هذه البساطة ؟ . لِمَ يتكلمون بكل هذه البساطة وينظرون

الى الأمور بكل هذه البساطة ؟ لماذا ؟ أفلا تحركهم أهواء ؟ أفليس عندهم بطولة ؟

ياكوف : انهم يملكون ايماناً ثابتاً بعدالة قضيتهم .

تاتيانا : لا يمكن ألا تحركهم أهواء — أو بطولة . أفلست تشعر جيداً بازدرائهم لكل شخص ههنا ؟

ياكوف : ليفشين ذلك رجل عظيم . يا لعينيه الحزينتين والودودتين والذكيتين ! يلوح أنه يقول : «ما جدوى ذلك كله ؟ لو أنكم تتنحوّن عن طريقنا وتمنحوننا حريتنا ! لو أنكم تتنحون عن طريقنا !» .

زاخار (يتطلع من الباب) : ان حماقة هؤلاء السادة الذين يمثلون القانون تبعث على الدهشة بكل بساطة . لقد طبخوا محاكمة رائعة ! ونيقولاي فاسيليفيتش يتصرف وكأنه فاتح للعالم .

ياكوف : اعتراضك الوحيد ، يا زاخار ، هو أن هذه القضية تنفذ تحت أنفك .

زاخار : حسنا ، كان يمكن أن يخلّصوني من هذه المسرة ! لقد جنّت ناديا تماماً . كانت وقحة مع بولينا ومعي ، وهي تسمي كليوباترا بالهرة المتوحشة ، وهذه هي الآن متكوّرة على الكنبه في غرفتي وقد انتفخت عيناها من البكاء . السماوات وحدها تعرف ماذا يجري هنا !

ياكوف (متفكراً) : وانني لأزداد نفوراً واشمئزازاً من فكرة هذا الذي يحدث يا زاخار .

زاخار : أستطيع تقدير ذلك . . . لكن ماذا نفعل ؟ عندما يهاجمونك ، يجب أن تدافع عن نفسك . لم يبق في

الدار زاوية واحدة تشمّ منها عبق البيت . . . وكأن كل شيء يقف على رأسه . والأمطار تحيل كل شـــيء بارداً رطباً . . . يا له من خريف باكر !

(يدخل نيقولاي وكليوباترا وكلاهما متهيجان)

نيقولاي : أنا على يقين الآن من أنهم رشوه !
كليوباترا : لم يكن في مقدورهـــم التفكير بهذا من تلقـــاء أنفسهم . لا ريب أن في هذه القضية انساناً يحمـــل رأساً طيبا فوق كتفيه .
نيقولاي : أتشتبهين في سينتزوف ؟
كليوباترا : ومن سواه ؟ آه ، ها هو السيد بوبويدوف .
بوبويدوف (يدخل من الشرفة) : في خدمتك !
نيقولاي : انني موقن اليقين كله أن ذلك الفتى قد ارتشى (يتحدث هامساً .)
بوبويدوف (في صـــوت خفيضـ) : أو – وه ! هِمْ – مْ – مْ . . .
كليوباترا (الى بوبويدوف) : أتفهم ؟
بوبويدوف : هِمْ – مْ – مْ . تصوري هذا ! يا للاوغاد !

(يختفي نيقولاي والنقيب عبر الباب المزدوج وهما يتناقشان في حمية . كليوباترا تتطلع حواليها فتقـــع أنظارهـــا عـــلى تاتيانا) .

كليوباترا : أوه ! أنت هنا !

تاتيانا : هل حدث شيء جديد ؟

كليوباترا : لا أعتقد أن ذلك يهمك في كثير أو قليل . هل بلغك خبر سينتزوف ؟

تاتيانا : نعم .

كليوباترا (متحدية) : لقــــد أوقفوه . ما أعظم سروري اذ استأصلوا أخيراً شأفــــة جميع العناصر الشريرة في المعمل . ألست مسرورة ؟

تاتيانا : لا أعتقد أنك تبالين بمشاعري .

كليوباترا (في سرور خبيث) : كنتِ تتعاطفين مع سينتزوف ذاك . (ترق ملامحها وهي ترنو الى تاتيانا .) ما أغرب طلعتك ! وكأنك تعانين العذاب المرّ . . . لماذا ؟

تاتيانا : أعتقد أنه الطقس .

كليوباترا (تدنو منها) : اسمعي . لعلّ هذا حماقة ، لكن . . . أنا مخلوقة صريحـــــة . وقد رأيت في الحياة كثيراً . أغرمت كثيراً ، فأمسى عيشي نكِداً . وأنـــا أعرف أن المرأة وحدها يمكن أن تكون صَديقة امرأة أخرى .

تاتيانا : أتريدين أن تسأليني شيئاً ؟

كليوباترا : أن أخبرك شيئاً . انني معجبة بك . فأنت ، على الدوام ، حرة في أعمالـــك ، وتتأنقين في ملابســـك . وتعرفين كيف تعاملين الرجال . وأنا أحسدك ، أحسد طريقتك في الحديث ، وطريقتك في المشي . لكنني لا أحبك في بعض الأحيان . بل وأكرهك .

تاتيانا : هذا يبعث على الاهتمام . لماذا ؟

كليوباترا (بلهجة غريبة) : من أنتِ ؟

تاتيانا : ماذا تقصدين . . .

كليوباترا : لا أستطيع سبيلاً الى اكتشاف هويتك . أحب أن أكوّن صورة واضحة عن الناس ، وأن أعرف ما يبغون . ويصوّر لي أن الناس الذين لا يعرفون ماذا يبغون هم ناس خطرون . فهم لا يمكن أن يؤتمن جانبهم .

تاتيانا : هذا قول غريب . لماذا تخبرينني بوجهات نظرك ؟

كليوباترا (في اندفاع وقلق) : يجب أن يكون الناس اخوة ، قريبين من بعضهم البعض ، بحيث يثقون ببعضهم بعضاً ! أفلا ترين ماذا يجري ؟ انهم بدأوا يقتلوننا ويسعون الى سرقتنا . أفلم تلاحظي تلك الوجوه اللصوصية التي كانت لأولئك الموقوفين ؟ أوه ، انهم يعرفون ماذا يريدون معرفة تامة ! وهم يعيشون في صداقة وثيقة ! ويثقون ببعضهم البعض ! انني أكرههم وأخافهم ! نحن نعيش في البغضاء ، لا نؤمن بأى شيء ، ولا نرتبط بأي شيء . فكل انسان يعيش على هواه . . . نحن نعتمد على الجنود والدرك – وهم يعتمدون على أنفسهم . وهم أقوى منا !

تاتيانا : وأنا أيضا أحب أن أسألك سؤالاً صريحاً . أكنت سعيدة مع زوجك ؟

كليوباترا : فِيم تسألين مثل هذا السؤال ؟

تاتيانا : بدافع الفضول الخالص .

كليوباترا (بُعيد برهة تأمل) : كلا . فقد كان أبداً مشغولاً بقضايا أخرى لا تتيح له التفكير فيّ . . .

بولينا (وهي تدخل) : أبلغكما الخبر ؟ تبين أن ذلك الكاتب سينتزوف اشتراكي . وكان زاخار يطلعــــه على كل شيء ، بل كان يريد أن يجعل منه مساعد المحاسب ! وطبيعي أن ليس لهذا أهميـــة كبيرة ، لكن أنظرا كم أصبحت الحياة معقدة . ان أولئك الذين خلقوا أعداء مبدئيين لكم يستطيعون العيش بجواركم من دون أن يخطر لكم ذلك في بال مطلقاً !

تاتيانا : شكراً لله لأنني لست ثرية .

بولينا : لن تقولـــي هذا عندمــــا تهرمين . (بلطف ، الى كليوباترا) كليوباترا بتروفنا ، انهم ينتظرونك من أجل البروفة . وقد أرسلوا النسيج الحريري .

كليوباترا : حسناً . ثمـــة شيء على غير ما يرام – فقلبي ينبض بشدة ! وأنا لا أطيق أن أمرض .

بولينا : اذا أردت أعطيتك بعض القطرات لقلبك . فهي تفيد حقاً .

كليوباترا (وهي خارجة) : هذا لطف كبير منك .

بولينا : سألحق بك بعد لحظة . (الى تاتيانا) من الضروري أن نعاملها بلطف ، فاللطف يفعل فعل المهدىء . ما أشد غبطتي اذ تحدثت اليهـــا . . . وعلى العموم ، فأنـــا أحسدك ، يا تاتيانـــا . . . أنت ماهرة على الدوام في

اتخاذ الموقف الحيادي المريح . . . سأذهب وأعطيها بعض القطرات .

(تغادر الغرفة ، فتتطلع تاتيانا الى الشرفة حيث صفّ الجنود الرجال الموقوفين . يمدّ ياكوف رأسه من الباب .)

ياكوف (مكايداً) : كنت طوال الوقت ههنا أسترق السمع .
تاتيانا (في شرود) : يقولون ان استراق السمع ليس بالأمر المستحب .
ياكوف : على العموم ، ليس سماع أقوال الناس مما يبعث على السرور . ذلك يجعلك ترثين لهم . حسناً ، يا تاتيانا ، أنا راحل .
تاتيانا : الى أين ؟
ياكوف : الى مكان لا أعرفه بعد . وداعاً .
تاتيانا (بعاطفة) : وداعاً . أكتب لي .
ياكوف : أصبح هذا المكان بغيضاً .
تاتيانا : ومتى ترحل ؟
ياكوف (في ابتسامة مغتصبة) : اليوم . لعلك ترحلين أيضاً ؟
تاتيانا : أجل ، اني أنوي الرحيل . لماذا تبتسم ؟
ياكوف : لا لسبب خاص . قد لا نلتقي ثانية .
تاتيانا : هراء !
ياكوف : اصفحي عني ! (تقبل تاتيانا جبهته . يضحك قليلاً وهو يدفعهـــا عنه .) قبلتني كما لو كنتُ جثـــة بالضبط . (يخرج على مهل . وبينا تاتيانا تراقبه ، تميل الى اللحاق به ، لكنها تومئ بحركة ضعيفة من ذراعها .

تدخل ناديا حاملة مظلة .)

ناديا : تعالي الى الحديقة معي . . أرجوك ، تعالي . فأنـــا أعاني صداعاً في رأسي من كثرة البكاء . كنت أنوح مثل حمقاء . وان ذهبتُ وحدي فسأعاود الكرّة مـــن جديد .

تاتيانا : ولماذا تبكين ، يا صغيرتي ؟ ليس ما يدعو الى البكاء .

ناديا : كل شيء يبعث على الحيرة – فأنا لا أستطيع ان أفهم شيئاً من هذه الأمور كلها . من هو على حق ؟ زوج خالتي يقول هو . . . لكنني لا أصدّقه . أهو رجل لطيــف ، زوج خالتي ؟ كنت دائماً أعتقد ذلــك . . . أما الآن فلست واثقة منه . وحينما يحدثني أشعر وكأني ، أنا نفسي ، وضيعة بلهاء . . . وعندما أفكّر فيه – وأطرح الأسئلة على نفسي لا أفهم شيئاً !

تاتيانا (في حزن) : اذا بدأت تسألين نفسك ستصبحين ثورية . وستتلاشين في ذلك التيه ، يا عزيزتي . .

ناديا : حسناً ، لا بدّ لي أن أصبح شيئاً ما ، أليس كذلك ؟ (تضحك تاتيانا في لطف) ماذا يضحكك ؟ طبعــاً لا بدّ لي . فأنت لا تستطيعين الاستمرار في الحيـــاة وأنت تطرفين بعينيك فقط دون أن تفهمي شيئاً !

تاتيانا: أنا أضحك لأن الجميع يقولون هذا اليوم – الجميع ، وبصورة مباغتة .

(تخرجان ، وفي طريقهما تلتقيان بالجنرال والملازم . يبتعد هذا الأخير برشاقة عن دربهما .)

الجنرال : التجنيد ضروري ، أيها الملازم ! وهو يخدم هدفاً مضاعفاً . (الى ناديا وتاتيانا) أين تذهبان ؟
تاتيانا : في نزهة .
الجنرال : اذا التقيتما بذلك الكاتب . . ما اسمه ؟ ما اسم ذلك الشاب الذي قدّمته لك قبل برهة ، أيها الملازم ؟
الملازم : بوكاتي * ، يا صاحب السعادة .
الجنرال (الى تاتيانا) : أرسليه لي . سأكون في غرفة الطعام أتناول الشاي والكونياك مع الملازم . ها – ها – ها ! (يرنو حواليه ، وقد غطى فمه بيده .) شكراً ، أيها الملازم ! فذاكرتك عظيمة ممتازة ! وهذا شيء حميد . على الضابط أن يتذكر اسم ووجه كل جندي في قطعته . عندما يكون الجندي حديث عهد ، فهو يكون شرساً مكّاراً – خبيثاً وغبياً وكسولاً . ويتغلغل الضابط في باطنه وينظّم كل شيء من جديد ، بحيث يخلق من الحيوان الشرس انساناً – انساناً عاقلا يعرف واجبه كل المعرفة . .

(يدخل زاخار ، يبدو عليه الاضطراب .)

زاخار : أرأيت ياكوف ، يا عماه ؟
الجنرال : كلا ، لم أره . . أيقدمون الشاي هنالك ؟
زاخار : نعم . (يخرج الجنرال والملازم . يدخل كون ، غاضباً أشعث الهندام ، من الشرفة .) كون ، أرأيت أخي ؟

---

* تلاعب بالألفاظ . كلمة «بوكاتي» مرادف لكلمة «بولوغي» وتعني «منحنى» بالروسية . **الناشر** .

كون (متجهماً) : كلا . اني أحتفظ بفمي مغلقـــاً من الآن فصاعداً ، حتى اذا رأيته فلن أقول شيئاً . لقد بُحْتُ بآرائي كثيرا طول حياتي ، وشكراً .

بولينا (داخلة) : جاء أولئك الفلاحون من جديد يسألونك أن تؤجل دفع ما يستحق عليهم .

زاخار : اختاروا أطيب الأوقات !

بولينا : يشكون أن المحصول كان سيئاً ، وأنهم لا يملكون ما يدفعون .

زاخار : هم دائماً يشكون ! . . ألم تري مصادفة ياكوف في مكان ما ، ايه ؟

بولينا : كلا . ماذا أقول لهم ؟

زاخار : الفلاحون ؟ فليذهبوا الى المكتب . . لا أنوي التحدث اليهم .

بولينا : لكن ليس في المكتب انسان . وأنت نفسك تعرف أن الفوضى الشاملة تعمّ كل شيء . لقد أزف وقت الغداء ، وذلك النقيب ما يزال يطلب الشاي . والسماور لم يُنقل من غرفة الطعام منذ الصباح . بينا يلوح أننا ، على وجه العموم ، نعيش في دار للمجانين !

زاخار : أعرفت أنه خطر لياكوف أن يرحل فجأة ؟

بولينا : اصفح عما سأقول ، فهو يفعل حسناً برحيله .

زاخار : أنت على حق ، من دون ريب . فقد أمسى نزقاً حاّد الطبع في الفترة الأخيرة — يثرثر على الدوام بأشياء لا معنى لها . وقد ظلّ يلحّ عليّ مؤخراً بالسؤال عما اذا كان من الممكن قتـــل غراب بمسدسي . وقد أهانني

كثيراً ، ومن ثم خرج يحمل المسدس . . وهو ثمل أبداً . .

(يدخل سينتزوف من الشرفة يصحبه دركيان وكفاش . بولينا تحملق فيه في سكون من خلال لورنيتها ، ثم تخرج . زاخار يصلح من وضع نظارتيه في شيء من الارتباك ، ويخطو مبتعداً وهو يتكلم)

زاخار (موبخا) : هذا مؤسف جداً ، يا سيد سينتزوف . أنا في غاية الأسف ، حقاً .

سينتزوف (مبتسماً) : لا تقلق لذلك . فهو لا يستحق هذا .

زاخار : بل يستحق ! يجب على الناس أن يتعاطفوا مع بعضهم البعض . . حتى اذا تبين أن شخصاً وضعت فيه ثقتي لا يستحق تلك الثقة ، فاني أعتبر مع ذلك أن من واجبي التعاطف معه عندما تحلّ مصيبة في ساحه . هذا هو شعوري ، وداعاً ، يا سيد سينتزوف .

سينتزوف : وداعاً .

زاخار : ليس لديك ما . . يؤخذ عليّ !

سينتزوف : أبداً ، أبداً .

زاخار (مرتبكاً) : عظيم . حسناً ، الوداع ! سوف ترسل ماهيّتك اليك . . (مغادراً الغرفة) هذا لا يُطاق . لقد تحوّل منزلي الى مركز للدرك .

(يضحك سينتزوف ضحكة خفيفة . يظل كفاش يراقبه

باهتمام ، ويراقب يديه بصورة خاصة . وعندمـــا يلاحظ سينتزوف ذلك يروح ينظر اليه في عينيه عدة ثوان ، حتى يكشر كفاش عن أنيابه على حين غرة)

سينتزوف : حسناً ، ماذا يدغدغك ؟

كفاش (في سعادة) : لا شيء ، لا شيء ألبتة .

بوبويدوف (داخلاً) : سوف ترسل الى المدينة ، يا سيـــد سينتزوف .

كفاش (في مرح) : انه ليس السيـــد سينتزوف ، يا سيادة النقيب ، بل هو شخص آخر مختلف تماماً .

بوبويدوف : ماذا ؟ كن أكثر وضوحاً .

كفاش : أنا أعرفه . كان يعمل في مصنع بريانسكي ، وكان اسمه هناك مكسيم ماركوف . . ولقد اعتقلناه هناك قبل سنتين ، يا سيادة النقيب . ان ابهامه الأيسر بدون ظفر – أنا أعرفه ! لا بدّ أنه هرب ما دام يعيش تحت اسم مستعار .

بوبويدوف (مدهوشاً بصورة بهيجة) : أصحيح هذا ، يا سيد سينتزوف ؟

كفاش : انها الحقيقة الصراح ، يا سيادة النقيب .

بوبويدوف : اذن أنت لست سينتزوف على الاطلاق ! حسناً ، حسناً ، حسناً !

سينتزوف : فلأكن من أكون ، فمن واجبك ان تتصرّف بأدب معي . . لا تنس هذا !

بوبويدوف : أوهو ! من السهل أن يرى المرء انـــك لست

بالشخص الأحمق الذي يمكن خداعه ! أنت نفسك ستخفره ، يا كفاش . . فافتح عينيك جيداً !

كفاش : حاضر ، يا صاحب السعادة .

بوبويدوف (مسروراً) : حسناً اذن ، يا سيد سينتزوف ، أو مهما كان اسمك ، لسوف نرسلك الى المدينة . (الى كفاش) وحالما تصل هناك ، أخبر المسؤولين بكل شيء عنه ، واطلب في الحال سجلّه من الشرطة . لكن من الأفضل أن أشرف على هذا بنفسي . رويدك برهة ، يا كفاش . . (يهرع خارجاً)

كفاش (في لطف) : ها نحن نلتقي مرة ثانية !

سينتزوف (بضحكة قصيرة) : أمسرور أنت ؟

كفاش : لم لا ؟ فأنت من معارفي القدماء .

سينتزوف (في نفور) : أعتقد أنه حان لك أن تكف عن ذلك الآن . لقد شاب شعرك ، ولا تبرح مع ذلك تتعقّب الناس كالكلب . أفلا تكون زعلان من نصيبك هذا ؟

كفاش (في لطف) : آه ، لقد اعتدت ذلك – عملت فيه طيلة ثلاثة وعشرين عاماً . وليس كالكلب أبداً ! فالناس الذين فوق يملكون فكرة طيبة عني – وقد وعدوني بوسام . ومن المؤكد أنهم سيمنحونني اياه الآن .

سينتزوف : بسببي أنا ؟

كفاش : بالطبع . من أين هربت ؟

سينتزوف : ستكتشف ذلك في الوقت المناسب .

كفاش : لا ريب أننا سنكتشف ذلك . أتذكر ذلك الشاب الأسود الشعر ذا النظارتين في مصنع بريانسكي ؟ كان

معلماً ، واظن ّ أن اسمـه – سافيتسكي . وقـد اعتقلناه هو الآخر . . . ليس من زمن بعيد . ولكنه مات في السجن . كان مريضاً ، مريضاً جدا . وعلى كل حال ، فليس عددكم كبيرا .

سينتزوف : سيكون عددنا كبيراً . . . انتظر فقط .

كفاش : أوهو ! هذا رائـع . كلّما ازداد عدد خصومنـا السياسيين تحسّنت أمورنا !

سينتزوف : فتكثر المكافآت ؟

(يظهر بوبويدوف والجنرال والملازم وكليوباترا ونيقولاي في فسحة الباب)

نيقولاي (يلقي نظرة الى سينتزوف) : كنت أتوقع هذا بطريقة ما . (يختفي)

الجنرال : ياله من شاطر !

كليوباترا : لقد اتضحت الآن هوية المحرّض .

سينتزوف (متهكماً) : اصغ ، أيها النقيب ، أفلا ترى أنك تتصرف بصورة خرقاء ؟

بوبويدوف : لا تحاول أن تعلّمني !

سينتزوف (في عناد) : بل سأفعـل ! ضعوا خاتمـة لهذه المسرحية السخيفة .

الجنرال : أتسمع هذا ؟

بوبويدوف (يصيح) : كفاش ! خذه من هنا !

كفاش : أمرك ، يا صاحب السعادة . (يقـود سينتزوف خارجاً .)

الجنرال : يجب أن يكون نمراً حقيقياً ، ها ؟ ارايتـــم كيف يزمجر ؟

كليوباترا : أنا واثقة من أنه في أصل المشكلة كلها .

بوبويدوف : محتمل . . محتمل تماماً .

الملازم : هل ستكون هنالك محاكمة ؟

بوبويدوف (مبتسماً) : أوه ، أبداً ! اننا نلتهمهم من دون مقبّلات . والأمران سواء على أية حال . .

الجنرال : كالمحارة . . مذاقاً !

بوبويدوف : سنعمل سريعاً ، يا صاحب السعادة ، على انهاء هذه اللعبة الآن ، ونريحك من هذه المتاعب كلهـــا . نيقولاي فاسيليفيتش ! أين أنت ؟

(يخرج الجميع من الغرفة . يدخل رئيس الشرطة من الشرفة)

رئيس الشرطة (الى كون) : هل سيجري الاستجواب هنا ؟

كون (عابساً) : لا أدري . . لست أعرف شيئاً .

رئيس الشرطة : طاولة ، واوراق . . . يلوح أنه سيجري هنا . (يخاطب شخصاً ما على الشرفة) أدخل الجميع الى هنا ! (الى كون) لقـــد أخطأ المرحوم . قال ان الذي أرداه أحمر الشعر ، وظهر الآن أن لونـــه يضرب الى السمرة .

كون (مهمهماً) : الأحياء أنفسهم يخطئون . .

(يأتون بالرجال الموقوفين مرة ثانية من الشرفة)

رئيس الشرطة : صفّهم هنالك . وأنت قف في آخر الصف ،

أيها العجوز . أفلا تخجل من نفسك ، أيهـــا الشيطان العجوز ؟

غريكوف : لماذا تستعمل هذه اللغة ؟

ليفشين : هوّن عليك ، يا ألكسي . هذا لا يهم .

رئيس الشرطة (مهدداً) : سأرينّك !

ليفشين : هذه وظيفته – أن يهين البشر .

(يدخل نيقولاي وبوبويدوف ويجلسان وراء الطاولة . يتخذ الجنرال مقعده الوثير في الزاويـــة ، وينتصـــب الملازم خلفه . تقف كليوباترا وبولينا في الممشى وتنضم اليهما بعد قليل تاتيانا ونـاديـــا . يتطلـــع زاخار في سخط من فوق أكتافهنّ . يظهر بولوغي مـــن مكان ما ، ويدبّ في حذر ، منحنياً للجالسين الى الطاولة ، ومن ثم يقف مرتبكاً حائراً في وسط الغرفة . الجنرال يومئ له ، فيتجه اليه على أطراف أصابعه ، وينتصب قرب مقعده . يأتون بريابتزوف.)

نيقولاي : انتباه ! بدأت الاجراءات . بافل ريابتزوف ؟

ريابتزوف : حسناً ؟

بوبويدوف : لا تقل «حسناً» ، أيها الأحمق ، بل قل «نعم ، يا صاحب السعادة» .

نيقولاي : أتصرّ على أنك قتلت المدير ؟

ريابتزوف (ضجراً) : سبق ان قلت لكم ذلـــك . . . فماذا تريدون أيضاً ؟

نيقولاي : أتعرف ألكسي غريكوف ؟

ريابتزوف : من هو ؟
نيقولاي : الشاب الذي يقف الى جوارك .
ريابتزوف : انه يعمل في معملنا .
نيقولاي : اذن ، أنت تعرفه ؟
ريابتزوف : نحن جميعاً نعرف بعضنا بعضاً .
نيقولاي : بكل تأكيد . لكن ، هل زرته في داره ، وقضيت وقت راحتك معه ؟ بكلمات أخرى ، هل تعرفه جيدا ؟ أصديقه أنت ؟
ريابتزوف : انني أقضي وقت راحتي مع الجميع ، وجميعنا اصدقاء .
نيقولاي : حقاً ؟ أخشى أنك لا تقول الحقيقة . يا سيد بولوغي ، كن كريماً ، وصارحنا بالحقيقة – ما هي الصلة بين ريابتزوف وغريكوف ؟
بولوغي : صلة صداقة حميمة . ثمة جماعتان قائمتان ههنا ، يرأس الشباب منهما غريكوف ، وهو شاب كثير الصفاقة في موقفه من الناس الذين يسمون عليه مرتبة بما لا يقاس . ويرأس الكهول منهما ييفيم ليفشين . وهو شخص ذو حديث غريب وأخلاق ثعلبية .
ناديا (في همس) : يا للشقي !

(بولوغي يتطلع حواليه ويرنو اليها ، ثم يلتفت صوب نيقولاي متسائلا . نيقولاي يلقي نظرة الى ناديا بدوره .)

نيقولاي : تابع .
بولوغي (متنهداً) : وترتبط الجماعتان بواسطة السيد

سينتزوف ، وهو ذو علاقة طيبـــة بهم جميعاً . وهذا الشخص لا يشبه الانسان العادي الطبيعي التفكير . فهو يطالع جميع أصناف الكتب ، وله وجهة نظره الخاصة في كل شيء . وفي جناحه ، الذي يمكن أن أضيف أنه يقع قبالة جناحي تماماً ومؤلف من ثلاث غرف . . .

نيقولاي : في استطاعتك حذف التفاصيل .

بولوغي : أستميحك العذر ، لكن الحقيقة تتطلب شرحاً وافياً للقضية . وكانت جماعات مختلفـة مـــن الناس تزور جناحه ، بما فيهم بعض الحاضرين ههنا – غريكوف ، و . .

نيقولاي : غريكوف ، أصحيح هذا ؟

غريكوف (بهدوء) : لا توجّه اليّ أية أسئلة ، فأنا أرفض الاجابة عنها .

نيقولاي : من العبث أن تسلك هكذا !

ناديا (بصوت عال) : يا لها من شطارة !

كليوباترا : ما معنى هذا ؟

زاخار : ناديا ، عزيزتي . . .

بوبويدوف : هس – س – س !

(ضجيج في الخارج على الشرفة)

نيقولاي : لا أرى سبباً يدعو الى وجود أولئك الذين لا مكان لهم هنا .

الجنرال : هم . . . م . وماذا تعني بالضبط بأولئك الذين لا مكان لهم هنا ؟

بوبويدوف : اذهب ، يا كفاش ، وانظر سبب هذه الضجة .

كفاش : ثمة امرؤ يحاول اقتحام الباب ، يا سيادة النقيب . يسبّ ويحاول الدخول ، يا صاحب السعادة .

نيقولاي : ماذا يريد ؟ من هو ؟

بوبويدوف : اذهب واستطلع الأمر .

بولوغي : أتريدني أن أتابع شهادتي ، أم يجب أن أنقطع عنها ؟

ناديا : يا للمخلوق الكريه !

نيقولاي : كفّ عن ذلك . سأطلب من أولئك الذين لا مكان لهم هنا أن يتركونا !

الجنرال : كيف يجب أن أعتبر ذلك ؟

ناديا (تصيح مهتاجة) : أنتم الذين لا مكان لكم هنا ! ليس أنا ، بل أنتم ! أنتم لا مكان لكم على الاطلاق ! هذا منزلي ! ولي الحق في أن أطلب اليكم الخروج !

زاخار (الى ناديا ، في حنــــق) : اذهبي حالاً ، أتسمعينني ؟ حالاً !

ناديا : **أتعني ما تقول ؟ حسناً . هذا يعني – أنني حقيقة لا مكان لي هنا . سأذهب ، لكن اسمح لي أولاً أن أقول لكم . . .**

بولينا : **الجمها ، والا نطقت بشيء مريع !**

نيقولاي (الى بوبويدوف) : قل للدرك أن يغلقوا الأبواب .

ناديا : **أنتم بلا وجدان ! بلا قلب ! جميعكـــــم أشقياء ، حقيرون . . .**

كفاش (يدخل مسروراً) : شخص آخر يريد أن يعترف ، يا سيادة النقيب .
بوبويدوف : ماذا ؟
كفاش : قاتل آخر سلّم نفسه !

(يخطو أكيموف ، وهو فتى أصهب الشعر طويل الشاربين ، متمهلاً في اتجاه الطاولة)

نيقولاي (منتفضا رغماً عنه) : ماذا تريد ؟
أكيموف : أنا الذى قتلت المدير .
نيقولاي : أنت ؟
أكيموف : نعم ، أنا .
كليوباترا (في همس) : أيها الشقي ! اذن فان لك ضميراً !
بولينا : أيتها السموات الطيبة ! يا لهؤلاء الناس الفظيعين !
تاتيانا (في هدوء) : هؤلاء الناس سيربحون في النهاية .
أكيموف (متجهما) : حسناً ، ها أنذا . أسعيدون أنتم ؟

(اضطراب عام . نيقولاي يهمس حثيثاً شيئاً في أذن بوبويدوف . فيبتسم هذا في ارتباك . يقف المعتقلون صامتين لا حراك بهم . تقف ناديا قريباً من الباب ترنو الى أكيموف وتبكي . بولينا وزاخار يتهامسان . وصوت تاتيانا الهادئ يُسمع بوضوح في قلب السكينة .)

تاتيانا (الى ناديا) : لا تبكي . سيربح هؤلاء الناس في النهاية .
ليفشين : آه ، أكيموف ! ما كان يجب . . .
بوبويدوف : صمتاً !

ناديا (الى أكيموف) : لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا ؟

ليفشين : لا تزعق ، يا صاحب السعادة . فأنا اكبر منك سناً .

أكيموف (الى ناديا) : أنت لا تفهمين . وتفعلين حسناً اذا خرجت من هنا .

كليوباترا : وما أكثر ما ادعى ذلك العجوز الشقي أنه تقيّ !

بوبويدوف : كفاش !

ليفشين : حسناً ، ماذا تنتظر ، يا أكيموف ؟ تكلم . قل لهم انه وضع مسدساً على صدرك ، وعند ذلك . . .

بوبويدوف (الى نيقولاي) : أتسمع ماذا يقول له ، ذلك الكذاب العجوز ؟

ليفشين : أنا لست كذاباً !

نيقولاي : حسناً ، كيف حالك الآونة ، يا ريابتزوف ؟

ريابتزوف : هذا ليس من شأنك .

ليفشين : لا تقل شيئاً . أبق فمك مغلقاً . انهم خبثاء ، وفي مقدورهم استعمال الكلمات أفضل منا .

نيقولاي (الى بوبويدوف) : ارمه خارجاً !

ليفشين : أوه ، لا ، لن تفعل ! لم يعد بالامكان رمينا خارجاً ! لقد ولّت الأزمان لمّا رمونا الى الخارج . لقد بقينا في الظلام – دون أية حقوق – زمناً طويلاً . كفاية ! اما اليوم فاشتعلنا جميعاً ، ولن تستطيع تهديداتكم ووعيدكم اطفاء نيراننا . لن ترمونا خارجا أبداً ! أبداً لن تستطيعوا !

ستار